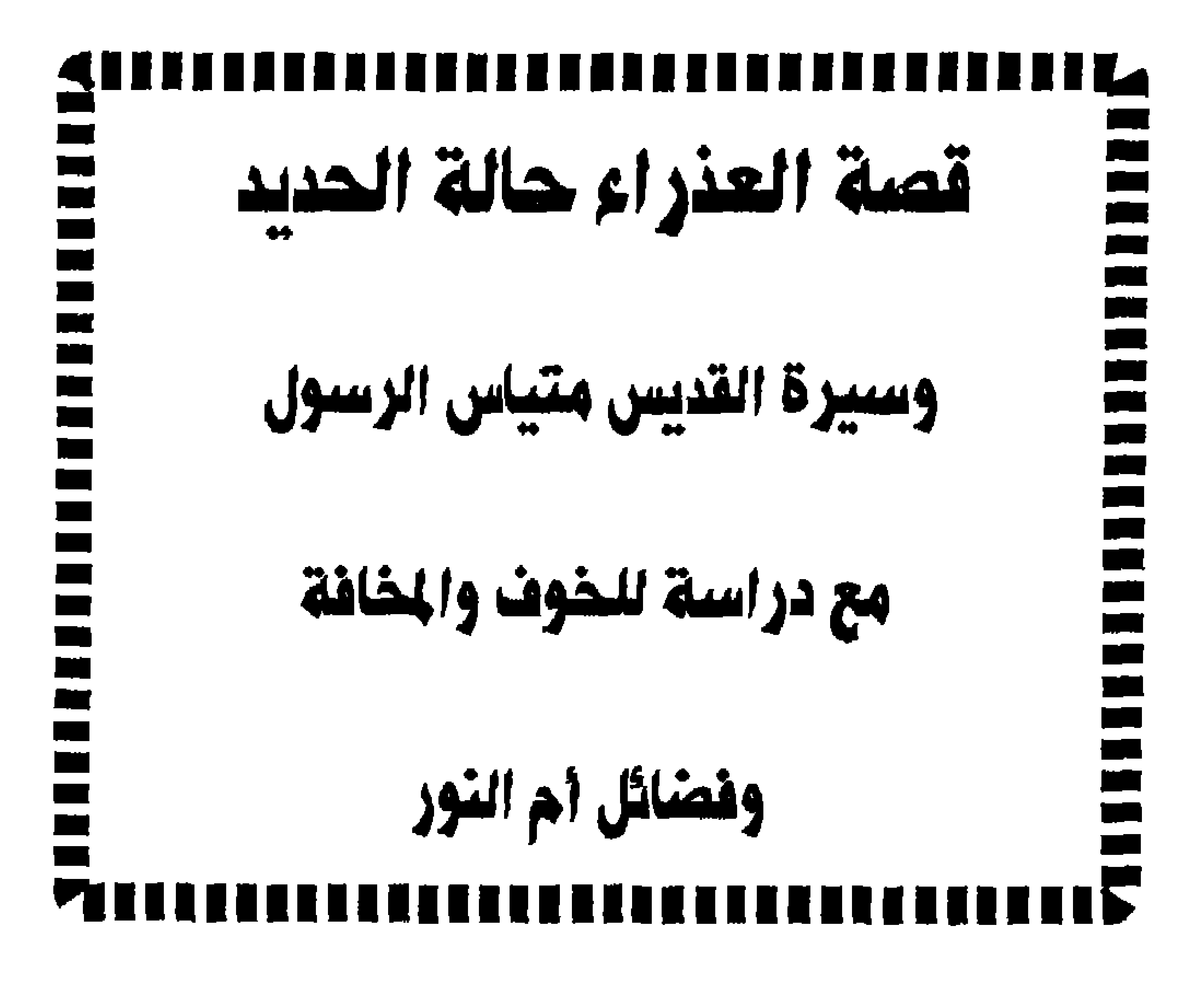

الموسوعة القبطية الشاملة
٢
١
قصة العذراء حالة الحديد
وسيرة القديس متياس الرسول
مع دراسة للخوف والمخافة
وفضائل ام النور
بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر
مكتبة المحبة

مكتبة المحبة



قصة العذراء حالة الحديد

وسيرة القديس متياس الرسول

مع دراسة للخوف والمخافة

وفضائل أم النور

بقلم

دياكون د. ميخائيل مكسى أسكندر

٥/٦٣

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٩٩ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 12 - 0371 - 1



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

قصة العذراء «أم النور» حالة الحديد

مقدمة:

من بين الأعمال العظيمة الكثيرة التي صنعتها القديسة العظيمة أم النور «**مريم**» إنقاذ القديس «متياس» الرسول، من الحبس في سجن مدينة «برطس» (Portos)، طبقاً لما ورد في كتاب قديم عنوانه «**ميامر وعجائب السيدة العذراء**» الميمر[1] التاسع، الذي سجله القديس «**باسيليوس الكبير**» أسقف قيصرية الكبادوك، بآسيا الصغرى (٣٢٩ ـ ٣٧٩) نقلاً عن صديقه «كيرلس» (Cyril) الكبير، بطريرك أورشليم (٣١٥ ـ ٣٨٦) الذي روى له أنه قد عثر علي هذ القصة الجميلة «مخطوطة» ضمن مخطوطات كنيسة البطريركية في جنوب أورشليم «القدس» وهي المسماه ب «**عليه صهيون**» (zion) وهي بيت القديسة «مريم» أم مارمرقس كاروز الديار المصرية (أع ١٢:١٢) وكان يجتمع فيها الرب يسوع

(١) «الميمر» كلمة سريانية، تعني سيرة أو قصة روحية للقديسين والشهداء

مـع تلاميذه، حيث غسل أرجلهم وأقام لهم العشاء الأخير، وفيها سلَّم لهم سر الشكر «التناول» وفيها ظهر لهم المخلص، بعد قيامته من الأموات، عدة مرات... وفيها أيضاً أقام الرسل مُصلين وصائمين، إلي أن حل عليهم الروح القدس يوم الخمسين (Pentecoste).. وكلها ذكريات جميلة للمؤمنين (أع ١:١٢،٢: ١ ـ ٤)٠ وقد أقيمت بها اول **كنيسة في العالم**، وأقام بها القديس «يعقوب بن حلفا» (المدعو يعقوب البار، أبن خالة السيد المسيح) أول أسقف للمدينة المقدسة، وظل هناك حتي نال إكليله٠ وهذه الدار المباركة هي مقر مطرانية الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالقدس [1] حالياً٠

من هو القديس متياس الرسول (Mattias)

وُلِدَ هذا القديس العظيم في بيت لحم (جنوب القدس)٠

(١) كتابنا «كنيسة بنتابوليس» (Pentapolis) ص ١٠٨ ٠

ويري المؤرخ الكنسي برسبيوس القيصرى، والقديس إبفانيوس (أسقف قبرص الشهير) أن «متياس» كان من بين الرسل السبعين، الذين إختارهم الرب يسوع للخدمة (لو ١٠:١)· وكان من بين الذين حل عليهم الروح القدس يوم الخمسين· وكان من المرافقين للرسل في خدمتهم الأولى· ثم أستقل بخدمته في عدة بلاد، كما سنرى بعد قليل بأذن الله·

ويروى سفر أعمال الرسل أنه أثناء أجتماع الكنيسة الأولي، في علية صهيون، وكان عدد المؤمنين ١٢٠ من بينهم «الرسل الإحدي عشر» والسبعين، والمريمات، والمؤمنين الأوائل) وقف القديس بطرس الرسول بينهم وقال «أيها الرجال الأخوة ينبغي أن يتم المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود النبي (مز ١٠٩ :٨) عن (يهوذا الاسخريوطى) الذي صار دليلاً (مُرشداً) للذين قبضوا علي يسوع (بجبل الزيتون، ليلة الصلب) اذا كان معدوداً بيننا، وصار له نصيب

فى هذه الخدمة (مع الرسل الإحدى عشر، لكنه خان سيده المحب ويأس من رحمة الله) وإذ سقط على وجهه إنشق من وسط (بطنه)، فانسكبت أحشاؤه كلها » !! (١).

ثم اقترح الرسول بطرس اختيار أحد الخدام القدامى خلفاً ليهوذا الخائن، بطريقة القرعة، وقال «فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان، الذى فيه دخل الينا الرب يسوع وخرج (أى) منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذى ارتفع فيه عنا، يصير واحد منهم شاهداً معنا بقيامته».

ويستمر الوحى المقدس فى سرد القصة كما يلى: «فأقاموا إثنين: يوسف الذى يدعى بارسابا، المُلقَّبِ يُوسطس justus (عادل) ومتياس (عطية الله). وصلوا (فى العُلّية) قائلين: «أيها الرب - العارف قلوب (نيات) الجميع - عين (إختر) أنت من هذين الإثنين، أياً إختـرته من هذين الإثنين

(١) انتحر يهوذا بسبب اليأس، بينما تاب القديس بطرس مدركاً رحمة الله، رغم أن خطيته كانت أعظم.

(المرشحين) ليأخذ قرعة هذه الخدمة (الرسولية)، والرسالة التى تعداها يهوذا (الخائن) ليذهب مكانه، ثم ألقوا قرعتهم **فوقعت القرعة (Lot) على متياس، فحسب مع الاحد عشر رسولاً»** (مت ٢٧:٨، أع ١:١٥ - ٢٦) وصار من أعمدة الكنيسة الأولى.

ولما قسَّم الرسل أماكن الخدمة فى العالم، وقعت قرعة متياس فى آسيا الصغرى (تركيا حالياً)، **وتحدث وقائع قصتنا هذه فى مدينة «برطس»**، إذ بينما كان القديس يخدم فى هذه المنطقة وقُراها، أمسكه ملكها الوثنى الشرير، بإيعاز من عدو الخير. وحبسه فى السجن، لكى يمنعه من نشر المسيحية فى بلاده (المحتاجة إلى نور المسيح!!).

وفى نفس الوقت، كانت الطوباوية «أم النور» تخدم فى مدينة أورشليم، بعد صعود رب المجد إلى السماء. وكانت فى ذلك الوقت تتعرض لمعاملة سيئة جداً من اليهود الأشرار

(المتعصبين).

فاضطهدوها بشدة، وأهانوها جداً. ولكنها - فى وداعتها ومحبتها - صبرت، وتحملت الألم المبارك من أجل الله. واستمرت البتول تمضى إلى قبر السيد المسيح له المجد - ومعها عذارى جبل الزيتون - اللواتى عرفن المسيح عن طريق تبشيرها، واتخذنها رائدة لهن. وكن يصلين هناك، ويرتلن المزامير، والترانيم الروحية المنعشة للنفس، شكراً للرب المحب على خلاصه العجيب.

وقد أهاج عدو الخير اليهود الأشرار، على البتول «أم المخلص»، فلم يرضوا عن خدمتها الروحية الناجحة فى كسب النفوس للمسيح، وقرر رؤساء الكهنة المتعصبين أن يسرعوا بطردها من أورشليم، وأن ينفوها إلى إحدى البرارى القريبة من فلسطين (صحراء شرق الأردن)!!

ويروى السنكسار القبطى (٢١ بؤونه) أنه بينما كانت أم

النور فى حيرة من أمرها ، ظهر لها الرب يسوع، وعزاها على آلامها وطمأنها على رعايته لها ـ فى كل مكان ـ حتى ترقد فى الرب بسلام.

ثم أعلن لها رب المجد أنه سمع صلوات وتضرعات القديس «متياس» في مدينة «برطس»، لانقاذه من سجنه، وعودته لخدمته (١) وها هو - الآن - فى حاجة إليها، لتسافر إليه بأقصى سرعة، وتصلى من أجله، وتنقذه من السجن، بمعجزة باهرة، تكون لها آثارها على القديس نفسه، وعلى شعب المدينة كلها!! حيث أكد لها رب المجد أنها ستكون «واسطة» لهداية ملك المدينة - وأهلها - إلى الإيمان المسيحى، والتحرّر

---

(١) كثيرا ما يحارب الشيطان بعض الناس، عندما يلجأون إلي الصلاة لله، في وقت التجارب، قائلاً لهم بأنهم لا يعرفون الله إلا في الضيق، ولكن الرب المحب يدعو كل نفس متألمة، لكي تأتي إليه قائلاً: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أرحكم» (مت ١١:٢٨)، «وكل من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً» (يو ٦:٣٧) وأكد علي دعوته قائلاً: «أدعني في وقت الضيق، أنقذك فتمجدني» (مز ٥٠:١٥).

من عبودية الأصنام، والتمتع بالسلام.

ففرحت البتول بدعوة الخدمة - في بلاد بعيدة - ولكنها تساءلت بالمنطق والحكمة كعادتها قائلة: « ولكن كيف يتم الوصول إلى سجن متياس الرسول؟! »

✝ ✝ ✝

العذراء تسافر عبَر أجواء الفضاء

لما استجابت أم النور - في محبتها العملية المعهودة - ورحبت - من قلبها - بدعوة الرب يسوع لها، للقيام بتلك المأمورية الروحية العاجلة، لإنقاذ متياس الرسول من سجنه وإعادته لخدمته، وسط شعبه، أعد لها الرب «سحابة نورانية»، حملتها بسلام، إلى بلاد آسيا الصغرى، حيث تقع مدينة برطس!! وهبطت بها السحابة السماوية برفق، بالقرب من المدينة المذكورة.

والتقت أم النور بإمرأة عجوز، شرحت لها ما حدث للقديس متياس الرسول، بعدما بشّر بالإنجيل، وأجرى اللّه على يديه معجزات كثيرة، وآمن كثيرون بالمسيح!! وكيف أن ملكهم الوثني - المعاند للحق الظاهر - أمر بالقبض على الرسول وحبسه في سجن مُظلم، كما إعتقل معه جماعة المؤمنين الجدد، الذين تعمَّدوا على إسم المسيح!!

وأعلنت السيدة العجوز - للعذراء مريم - أنها حزينة في قلبها، بسبب ما حدث للرسول وشعبه، ولأن لها إبناً صغيراً متألماً من مس الشيطان، وأنها كانت ترجو شفاءه على يد القديس متياس، والآن هو محبوس، وتساءلت «ما العمل»؟!

فطمأنتها أم النور، وتحدثت معها عن محبة الله، ووعدتها بشفاء إبنها، بقوة الرب يسوع المسيح، القادر على كل شيء، والذي لا يعسر عليه أمر صعب، كما شهد عنه الملاك «غبريال» (لو ١:٣٧) فلما سمعت العجوز إسم «المسيح» تنطق

به أم النور أمـامـهـا، نصـحـتـهـا وهى تـهـمس فى أذنهـا، لكى تخفض صـوتهـا بسـرعـة، ولا تنطق بهـذا الأسم فى العلن، لأن ذكر إسم المسيح ممنوع بأمر ملك البلاد الشرير.

المعادن تسيل أنهاراً بصلاة أم النور

فنظرت إليها أم النور نظرة حُب وإشفاق وعطف، وتساءلت بشـجـاعـة قـائلة: «مَنْ هذاالذى يسـتطـيع أن يخـفـى هذا الإسم العظيـم»؟!

وأضافت البتول، وقالت: «إن كان أحد يظن أنه يقدر على إطفـاء نور الشـمس، فلن يمكنه أن يهزم قـدرة المسـيح، وأسـمـه العظيم».

ثم طلبت القـديسـة مـريم من المرأة العـجـوز أن تأتى إليـهـا بإبنهـا، فى مكانهـا هذا، لكى تصلى من أجله - بإسـم المسيـح - وينال الشـفـاء حـالاً. غيـر أن هذه السـيـدة العـجـوز طلبت من أم النور أن تتفضل بزيارتها فتحل بركتها فى بيتهـا، وتشفى لهـا

وليدها.

وفى اتضاعها المعهود، مضت أم النور إلى منزلها المتواضع. وبمجرد أن دخلت العذراء الطاهرة من باب البيت، حتى صرخ الشيطان الذى كان يسكن الولد المريض، وولى هارباً إلى آخر رجعة، وفرحت الأم العجوز بهذه المعجزة، وشكرت أم النور على إستجابتها لدعوتها، وبركة حضورها فى دارها، وآمنت بربها.

ثم دعتها العذراء مريم لكى تصحبها إلى موضع السجن المحبوس به القديس متياس الرسول، وكل الذين آمنوا بالمسيح بكرازته هناك، وأمام باب السجن الحديد الضخم، صلّت أم النور بحرارة وايمان، لكى يتمجد اللّه، ويظهر قدرته ومحبته لأولاده. فذاب الحديد، وكل ما هو معدن، وصار سائلاً، وانسكب على الأرض كالماء الجارى!!.

وهكذا ذابت أبواب السجن وأقفاله ومتاريسه، وكل

القضبان الحديدية، والسلاسل المقيَد بها المؤمنون. وسائر الأسلحة الحديدية التى كان يحملها الجنود، كلها قد صارت سوائل ذائبة، بعد أن كانت صلبة، كما ذابت كل أدوات الزراعة، والإنتاج المعدنى، فى المدينة، وسالت كل أدوات أهل الحرف، لدى أصحاب المهن المختلفة، وتوقف الجميع عن العمل، وتساءلوا: «ماذا نفعل»؟! ولماذا حدث هذا؟!

معرفة سر الظاهرة العجيبة

وكان لهذا الحدث العجيب أن تأثر كل سكان مدينة بُرطس، بدون استثناء - من الرجال والنساء - وتساءلوا عن سر هذه الظاهرة الفريدة، والوحيدة فى تاريخهم القديم والحديث!! فعلموا من المرأة العجوز أن صلاة العذراء مريم - أم يسوع - كانت من القوة والحرارة والفاعلية ما أذاب الحديد، وكل معدن شديد الصلابة!!

وعلم الملك بما حدث، وأمام حقيقة المعجزة وانتشارها، لم

يُعـاند أو يكابر ـ هذه المرة ـ فـأمـر بإطلاق سراح كل المسـاجـين المومنين، وعلى رأسـهم قـائدهم القـديس «مـتـيـاس» الرسـول، لأنهم لـم يهـربوا من السـجن، حـينمـا ذابت أبوابه الحـديدية، **بل فرحوا بالحبس، من اجل المسيح**. وكـانوا يرددُّون قـول الرسول بولس: «إن آلام الزمـان الحـاضـر، لا تقـاس بالمجـد العـتيـد أن يُستـعلن فـيـنا، وأنه إن تألمنا مـعه، نتـمجّد أيضـاً معه، ولأنـه بضـيـقات كـثيـرة ينبـغى أن ندخـل ملكوت السمـوات» (رو ٨: ١٢ ـ ١٣). وأنـه ينبـغى أن **نفرح بالآلام** من أجـل الله، **لأنهـا «بركات»** عظـيمة، ولهـا مكافآت جزيلة (يع ١:٢).

ولما عرف الشعب بأن الله قد تمجّد، وأظهر عمله العجيب، آمنوا به جـمـيـعـاً، وكـذلك فـرحت كل القلوب ببركـة حـضـور «أم النور» إلى مـدينتـهـم، التى سجّل التـاريخ حدوث هذه المعـجـزة بها، وسيظل هذا الحَدث التاريخى أبد الدهر.

وطلبت العـذراء الطاهرة ـ من القديس متياس الرسول ـ أن

يقوم على الفور بتعميد كل المؤمنين الكثيرين. فعمدّهم جميعاً، ودهنهم بزيت الميرون، لكي يعمل روح اللّه القدوس فيهم بثماره المباركة، ويملأهم بكل محبة وفرح وسلام وطول أناة (صبر)، وصلاح وبِّر، ولُطف وتعفُف، ويزداد إيمانهم قوة، أمام تجارب الحياة الصعبة (غل ٥:٢٢) وينموا أيضاً فى فعل الخير، وهو من ثمار الإيمان العامل بالمحبة، نحو اللّه والناس.

وشيّد الرسول كنيسة عظيمة - تحمل إسم «**البتول مريم**» - ورسم قسوساً وشمامسة، وعلّمهم حقائق الإيمان المسيحى، وأوضح لهم أهمية ممارسة وسائط النعمة والخلاص، وأسرار الكنيسة المقدسة، بصفة منتظمة.

✝ ✝ ✝

الرب يستجيب لصلوات وشفاعات أم النور دائماً

وبعد أن تم خلاص كثير من الوثنيين - فى مدينة بُرطس - صلّت البتول مريم مرة أخرى، وطلبت من سيدها، وابنها الحبيب

يسـوع، لـكى يعـود كل مـعـدن قـد ذاب - من الحـديـد الصُلب - إلى طبيـعتـه الأولى، كمـا كـان فى البـداية.... وقـد صار كـمـا أرادت أم النور!!

فـإزدادات دهشـة الجـمـهـور، وانبـهـارهم بالمعـجـزة الكبـرى، وتحـقـقـوا من صـحـة الإيمـان المسـيـحى، الذى تَدعّم بالمعـجـزات الخارقة، وعرفـوا كرامة «أم النور» ودالتّها عند الله، وفـاعليـة صلواتهـا ، التى لهـا قـوة عظيـمـة (يع ٥:١٦) فـلا تتـوانَ للإستشفاع بها دائماً.

عودة العذراء الى خدمتها الأولى:

وبعـد أن أتمت العـذراء مـهـمـتـهـا الروحـيـة بسـلام، ونجـاح وفرح. (بسبب ما كسبِتَ من نفوس كثيرة للمسيح)، ظهرت لها «حـمـامـة بيـضـاء» (رمـز للسـلام والهـدوء، وبسـاطة الروح، وإعـلان الـروح القـدس)، وسـمـعت صـوتاً حنوناً - من السـمـاء - يعلّمِها بـأن المؤامـرة التى دبّرها لهـا قـادة اليـهـود، لنفـيـهـا فى

منطقة نائية، قد فشلت بمعونة الله: «لأن الرعب يُحامى عن المؤمنين وهم صامتون».

وأضاف الصوت الإلهى، أنه يمكن لأم النور أن تعود الآن إلى موضع خدمتها فى أورشليم، حيث أن عذارى جبل الزيتون (المؤمنات المكرسات) فى حُزنٍ شديد على فِراقها، وأنهن جميعاً فى حاجة ماسة إلى قيادتها وحكمتها، وإرشادها لهن، للسير بأمانة فى طريق الملكوت الضيّق، فقررت البتول أن تعود إليهن بأسرع ما يمكن.

وبعد ذلك قامت أم النور بتوديع القديس متياس، وشجّعته على الاستمرار فى نشر الايمان، فى كل مكان، وتعليم الشعب مبادىء الإنجيل، وأن يعيشوا فى فرح الروح القدس، وأن تتدعم حياتهم بالصلوات والقُداسات، وقراءة الكتاب المقدس، وسيَر القديسين، للنظر إلى إيمانهم وأعمالهم، والتمثُّل بهم (عب ١٣:٧) وممارسة كل وسائط الخلاص بانتظام، ليحل فى قلوبهم الفرح والسلام (وهى رسالة لكل نفس تقرأ هذا الدرس).

وودعت أم النور الملك المسيحى - وسائر شعبه المؤمن - وداعاً قلبياً، بعدما نصحتهم بحب، لكى يزداد إرتباطهم بالرب، وبالكنيسة واجتماعاتها وخدماتها، وأن يحبوا بعضهم بعضاً، بكل قوة، وأن تزداد محبتهم للخير والبِّر باستمرار - ليل نهار - وأن يكونوا مستعدين للقاء الرب كل حين (حيث أن الموت غير مضمون، لحظة واحدة ولا طرفة عين)، و «طوبى لمن لزم التوبة حتى يمضى إلى الرب».

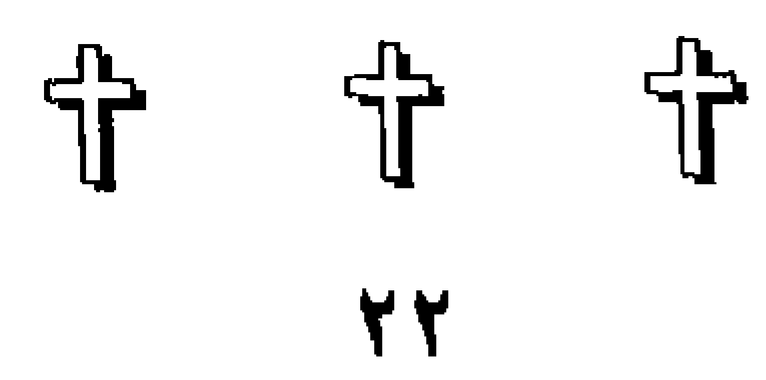
فصاحوا جميعاً معلنين تمسكهم بالإيمان، وفرحهم به على الدوام، ورجوها أن تذكرهم فى صلواتها وشفاعتها المقبولة أمام عرش النعمة، حتى يسندهم الرب، ويعينهم - دائماً - على النمو فى التقوى والروحانية.

أما هى فقد حملتها سحابة نورانية إلهية، وهبطت بها بسلام، فى مدينة أورشليم (القدس). وهناك إلتقت «أم المخلص» بعذارى جبل الزيتون، اللواتى فرحن جداً بلقاء الراعية

الحنون وتباركن منها وعاشت البتول بينهن، في عبادة حارة، وتسبيح دائم، وصلوات كثيرة، حتى دنت ساعة نياحتها السعيدة، ثم رحلت إلى الفردوس، مع مخلص النفوس.

وقد درجت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية على الإحتفال بهذه المعجزة العظيمة، يوم ٢١ بؤونه (٢٨ يونيه) من كل عام. ويقام إحتفال كبير بدير العذراء «المحرق» بأسيوط « في عيد العذراء حالة الحديد»، حيث يقصده عشرات الألوف من المسيحيين والمسلمين، المُحبيَن لأم النور، لنوال بركتها وطلب شفاعتها المقبولة لدى الله مخلصنا.

وكذلك تقام نهضة روحية سنوية بكنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة بالقاهرة، تذكاراً لهذه المعجزة الباهرة، التى تظهر كرامة «أم النور» وفاعلية صلواتها. بَركَة شفاعتها وطلباتها، تكون مع القارىء. آمين.



استكمال سِيرَة القديس متياس الرسول

الله ينقذ رسوله من أخطار كثيرة:

المؤمن يحمل صليب المسيح باستمرار، ويقول الحكيم يشوع ابن سيراخ لكل خادم للرب: «يا إبنى، إذا بدأت خدمة ربك، فاستعد لجميع التجارب». وقال القديس أنبا بولا أول السواح: «مَنْ هرب من الضيق، فقد هرب من الله». وقال مار إسحق: «التجارب أبواب للمواهب». وقال أحد القديسين: «لا تتضايق من الذين يصنعون إكليلك». ومن ثم لا يتعقدَ المؤمن، من المتاعب - من أجل الله - وإنما يفرح بها ويسعى الى الخدمة فى الأماكن الصعبة، ومع القلوب القاسية أيضا، وهو ما حدث فعلاً - كمِثَال عملى لنا - فى سيرة القديس «متياس» الرسول!!

فقد سجَّل السنكسار القبطى (٨ برمهات) أن الرسول متياس قد توجَّه - بعد إنتهائه من خدمة بُرطس - إلى الخدمة فى مناطق صعبة، بوسط إفريقية. فى بلاد كان سكانها

البـدائيـيـن يأكلون لحـوم البـشَر، ويعـيـشـون فى الغـابـات، فى درجات حرارة عـالية جداً، وبين الوحوش الكثيرة!

وكـان من عـادة هؤلاء المتـوحـشـين أن أى شـخص يقع فى أيديهم يضعونه فى حبس، لمدة ثلاثين يوماً، يطعمونه خلالها الحشائش، وبعد ذلك يذبحونه كالحيوان، ويأكلون لحمه!! ومع ذلك تجاسر القديس متياس ومضى للخدمة بينهم، ولسان حاله يُرّدد مع المُرَنم قـائلاً: «الرب لى راعٍ فلن يعـوزنى شىء» (مـز ٢٣)!! ولا شك فـإن الإيمـان يعطى الأمـان والسـلام، ويُشعِر المؤمن بأن الله معه، فى كل مكان وزمان.

فلمـا وصـل إليـهم القـديس مـتيـاس الرسـول، وكلمَّهـم عن الإيمـان المسـيـحى (بعـدمـا أرشـده الروح القـدس عن اللغـة البـدائيـة، التى ينطقـون بهـا) أسـرعـوا بالقـبض عليـه، وقـلعـوا عينيه (١)، وحبسـوه فى سـجن بدائي، ولكن قـبل أن تمضى

(١) لم يذكر لنا التاريخ شيئاً عما إذا كان القديس متياس قد أبصر من عدمه، وعلي أية حال فقد أعطاه الرب البصيرة الروحية والإستنارة الداخلية.

مدة الثلاثين يوماً، المقررة لكى يذبحوه بعدها، استجاب الرب لصلواته، وأرسل له القديس «إندراوس» وتلميذه اللذان كانا يخدمان فى جهات قريبة منه بإفريقيا الشمالية.

وأرشدهما الروح القدس إلى مكانه. ورأيَا المسجونين وما يعمله بهم المتوحشون، فأوعز الشيطان إليهم بأن يقبضوا عليهما أيضا، تمهيداً لكى يأكلوا لحمهما مع لحم القديس متياس، المحبوس لهذا الغرض!!

ولما قبضوا عليهما، وأودعوهما مع شريكهما القديس متياس الرسول، إنفجرت عين ماء، أسفل أحد أعمدة السجن، وملأته المياه، حتى وصلت إلى أعناق المسجونين!! فأتى هؤلاء المتوحشون باكين ونادمين على شر أفعالهم، وقسوتهم مع رجال الله الأبرار.

فقال لهما الرسولان المجاهدان «آمنوا بالرب يسوع، لكى تَخلصُوا من خطاياكم». فخضعوا وأطاعوا، وقبلوا المسيح

مخلصاً وفادياً لهم، من سوء أفعالهم. وتم تعميدهم بإسم الثالوث القدوس، مخلص كل التائبين الحقيقيين.

وصلى القديسون الثلاثة من أجلهم بدموع - إلى الرب يسوع - لكى يُطهَر قلوبهم ويُغيّر من عاداتهم، وسلوكهم البدائى.

فاستجاب الرب لصلواتهم وتضرعاتهم، من أجل هذا الشعب المسكين والجاهل، ونزع الرب الطبع الوحشى منهم، فامتنعوا عن أكل لحوم البشر!!.

وتم إقامة كنيسة بسيطة، وسط الغابة الكبيرة، ورسم لها الرسولان أسقفاً وكهنة منهم، بعدما أقام القديسان عندهم مدة طويلة، علّموهم فيها مبادىء المسيحية، ونشروا بينهم العلم والحضارة، ثم تركوهم إلى جهة أخرى



جهاد حتى النفس الأخير

أما القديس متياس الرسول، فقد سافر من إفريقية إلى مدينة دمشق (السورية)، ونادى هناك بإسم المسيح كعادته. فغضب عليه بعض سكانها - بإيعاز من يهودها - فأخذه الأشرار، ووضعوه على سرير حديد، وأوقدوا النيران تحته، فلم تضرّه النار، حسب وعد الله، بحماية أولاده، فى وقت الخطر، وكان وجهه يسطع بنور شديد، كضوء الشمس، وكملاك منير.

فتعجب معذبوه، من احتماله الألم المبارك، بصبر وشكر، وفرح قلبى كثير، وآمنوا بالسيد المسيح على يديه، فعمّدهم القديس، ورسم لهم كهنة، وظل معهم فترة يُعلّمهم ويرشدهم، ويثبتَهم على الايمان - ولاسيما وقت التجارب والأحزان - حتى نموا فى النعمة جداً.

وعاد القديس متياس الرسول إلى فلسطين، مستكملاً خدمته بين أهله - فى اليهودية - فأضطهدوه بشدة، ولكنه صبر

وشكر، مصداقاً لقول الرب : «بصبركم إقتنوا أنفسكم» (لو ٢١:١٩)، «والذى يصبر إلى المنتهى، فهذا يخلص» (مت ١٠:٢٢).

وزادت التجربة صعوبة (إمتحاناً لتزكية الإيمان) حتى قام اليهود الأشرار والمتعصبون برجمه بالحجارة (١) (مثلما فعلوا مع الشهيد الأول القديس «إسطفانوس» رئيس الشمامسة).

وتَذكُر بعض المصادر القديمة (٢) أن القديس متياس، قد عاد إلى غابات إفريقية (جنوب أثيوبيا) حيث تم صلبه على أشجارها، حيث صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها. وعلى أية حال، فقد نال الشهيد إكليله فعلاً سنة ٦٣م، بطريقة أو بأخرى، بعد جهاد طويل، وصبر كثير، وخدمة مضحّية - فى عدة مناطق بالعالم - ثم رحل إلى الفردوس، المُعدّ للمُجاهِدين، ومقر المؤمنين المفديين، بركة صلوأته - وشفاعاته - تكون معنا، آمين

✝ ✝ ✝

(١) السنكسار القبطي ٨ برمهات.

(2) Unger's Bible Dict. (chicago 1979) . p 706.



لا تخافى يا مريـــم

(تأملات بقلم الخادم ستيفن جاد الله)

الفصل الأول

لا تخافي يا مريم «من حديث الملاك غبريال لأم النور»

فلما رأته اضطربت من كلامه وفكّرت ما عسى أن تكون هذه التحية؟! فقال لها الملاك: لا تخافى يا مريم لأنك وجدتِ نعمة عند الله» (لو ١: ٣٠).

لا تخافى يا مريم

إن شخصية القديسة مريم حقيقة أغرّب من الخيال، وواقع أروَع من الأساطير... لأنها نُسخَة لاتتكرر لا فى الماضى ولا فى الحاضر، ولافى المستقبل. فالذى حدَث معها لن يحدُث مع غيرها! ما جرى لها فوق مُستوى الإدراك والفِكر، ولكنه فى دائرة الإيمان.

ذات أُمسيَة بينما كانت مريم مُستغرِقة فى صَلواتها العميقة، وقف أمامها الملاك جبرائيل: «الواقِف قُدأم اللّه» وقال لها كلاماً لم تفهمه! فأضطرَبت وخافَت! لكن الملاك فى تأدُّبٍ تام ـ قال: «لا تخافىِ يا مَريم!! سوف تحبلين، وتلدين

إبناً!!» إنه كلام غـريب! خافت منه مـريم، لكن الملاك طمأنها قـائلا: «لا تخافـى! أنا أعلم سَبب خَوفِك!! إذا كـان خـوفك من يوسف لا تحاولي ان تُقنِعيه! أنـا سوف أقنعـه ـ فى حُلم ـ وسـوف أخـبـره أنه يكـفيه شَرفـاً وفـخـراً، أن يحلّ القُدّوس فـى بَطن العذراء التى تسكُن فى بيتِه، وبذلك يكون عُضواً فى العـائلة المُقدسَّة، إلى جانبكِ، وإلى جانب الطفل يسوع!!

†لا تخافى من الشريعة: حقاً لن تستطيع الشريعة أن تَرحمك لكن الله دَبَّر كل شيء، أنتِ بَمنجًى عن قصَاص الناموس، لأن العناية سَتُدّبِر كل شيء، وعندما يرسِم اللّه خطوط حياة أولاده، فـهـو يُدَبِّر كل شيء. يكفى أن نطمـئن، ونَثِق فى أعـمـال اللّه، ونقول: «صَمَّت يارب، لأنك فَعلتَ».

†لا تخافى يا مريم من الفقر: ربما تُحـاولِي أن تُفكِّـرى، فى مـصيـر الطفل... إننى لا أنكر أنكِ سوف لا تجـدين مكاناً ولا ثيـاباً.وسوف تضعينه فوق تبن المزود الرَطِب، لكن مولود المِزَود

هذا، سـوف تأتى إليـه ملوك من المَشـرق، يسـجـدون له بين يدَيك، وسوف يُقدّمون كنوزَهم «ذهباً ولباناً ومُرّاً» (الذهب يُرمز إلى أنه سيكون «ملك الملوك» واللُّبان عَلامـة «أنه الكاهن الذى يُخلِّص، ويقود البشرية، إلى الخلاص من الخطية الجذية»، والمَرُّ إشـارة إلى أن المولود سيذوق الآلام والصلب حبًا فى بنى آدم، ولخلاص العالم الظالم نفسه)!

إن هذا الطفل، وهو فى مـذوده الحَقيـر، هو سيِّد العالَم... وفى تواضـعه العـجيب، هو الذى يُشبع العالَم من رِضَاه ومن غِناه... إنه وإن لم يَأتِ أحد ليُهلّل له، وليستقبله بما يستَحق من تمجيد وتعظيم، لكن الاحتفالات اللائقة به سيُقيمها المَفديُّون فى السمـاء، وسوف تُرنِّم السَماء، وتُرسل للأرض الأنوار الإلَهية تشقُّ ظلام الليل، والملائكة فَرِحَة مُهلِّلة، تُسبّح الله قائلة: «المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السَلام، وبالنَّاس المسَرّة». وتعلن أنه جاء القدوس فادى البشر.

† **لا تخافى:** لأن ملوك الأرض بِغنَاهم وتيجانِهم، لن يستطيعوا أن يَظفَرُوا بَعرش هذا الطفل، لأن ملائكة السماء تترنَّم فى فرح لميلاد إبنكِ، وهو مالم يظفر به أى نبىّ آخر!

† **لا تخافى من الناس:** ماذا يقولون؟! فإن قصَّتك حقاً مُحَيِّرة للعقول، حتى أنا الملاك تحيرّت أمامَك، ولولا إيمانى العَميق بقُدَرة اللّه، لفكّرتُ طويلاً، قبل أن أبلّغكِ بهذه الرسالة، لكنى مَلاك مُطيع، خاضع لإلهى، وأعلَم تَماماً أن اللّه دائماً على حق... فلا تضطربى، لأن كلامى سوف يُحيّر الفلاسفِة، والمُفكّرِين والعَباقرة.... فكيف تَلد عذَراء؟! ولكنها هى إلارادة الإلهية (أش ٧:١٤).

† **لا تخافى على عذراوِيتكِ:** لأنها ستَبقى إلى الأبد. سوف يدخل المَلك إلى خِدره ويَخرُج والباب مُغلَق، كما تنَّبأ الأنبياء (حز ٨:٨).

فأنت بِكر الأبكَار، عذراء العَذارى، سيِّدة السَيدات، إلى

الأبد!

✝ **لا تخافى من الزمن:** فسوف تكونين «بإبنكِ مَلك الزمن!!

نَعم. إن إبنكِ القُدوس سيعطيكِ مَنزلة رَفيعة - في العالَم - حتى أنك ستقولين، بروح النبوّة «هوذا جميع الأجيال تُطوّبني».....

فإن كانت هذه البُشرَى جَلبَت لك أفكاراً في قلبك، فلا تخافى، وسَلّمِي الأمر إلى إبنكِ الذى هو إلهَكِ... وهو قريب منكِ، في قلبكِ، وفى حِجركِ.

إن طفلكِ هذا الذى ستحملينه على ذراعيكِ، والذى ستُرضَعينَه، هو الذى يَملأ حياتك، وحياة كل الشعوب بالحُب. وكله عَطاء وغِنىً ورحمة وشِفاء.

✝ هو الذى يستطيع كل شيء بكلمة قُدَرته... وتكفيكِ نعمته، وعطيته التى لا يُعَبّر عنها، كما قال الرسول بولس.

✝ **لا تخافى أن يمَرَض إبنكِ يوماً:** لأنه لن يمرَض أبداً، فهو لم يعرِف الخطية المُميتة والخطية هى سر بلاء الإنسان، ومرضه

الروحى والجسدى أيضاً، وإن إبنكِ هو الطبيب الحقيقى، والشافى الحقيقى لأمراض كل البَشريَّة... بكلمة منه يزول المرض، بل وتهرَب من أمامه جميع الشياطِين.

سوِف تُقدّمِينَه، بعد أيام من ميلاده إلى الهيَكل وسوف تَلقين كاهناً شيخاً، أتعبَته السنون، ولكنه كان دائماً ينظر إلى السماء، يطلب شيئاً، وعدَه به الله!! فقد وعدَه أنه سوف لا يُفارِق العالَم قبل أن يرى مُعجزة الدهور: «عذراء تَحبْل»؟!

عندما يَرى هذا الكاهن الشيخ إبنك، سيحملِه على ذراعيه ويقول: «أنا هو عَبدكَ: الآن أطلق عبدك بسلام. لأن عَينَّى قد أبصرَتا خلاصك».

لقد عرِف، أو بدقة أكثر، قد عرفّه اللّه، أن هذا الطفل هو فِداء البَشرية، حامل خطايا العالَم... خَلاص الشعُوب!

وسوف يلتَفت اليكِ ويُخاطبكِ بصدقِ العُظماء، وبصراحة القديّسين وشفَافية الأنبياء. ويقول لكِ: «سوف يَجوز فى قلبكِ

سيف» لكن لا تخافى!!

فمهما كانت تلك السيوف (الآلام) فلا تَجزعى.... وإعلمى أنه بمجرَّد أن تَلديه، سوف ينمو سيف هيرودس ليقتُله، وسيذهب الحِقد - فى قلبه - وستعمَى بَصيرَته وسيقتُل كل أطفال بيت لحم، من ابن سنتين فما دون! لكن لا تخافى، لأن هيرودُس بل كل مُلك هيرودس، وروح هيرودس نفسه، فى يد إبنكِ! وسيُعلّمنا دَرساً فى الهروب الإيجابى، من وجه الشر والأشرار!

✝ **لا تخافى يا مريم:** سوف تزوُرين مصر، فى رحلة صعبة، وطويلة فى أرض غريبة، وستبقين هناك حتى يموت المُجرِم (هيرودس)، ويأكله الدُود!

أما إبنكِ فهو القُدّوسَ البّار الملك الحَق. إن المولود منك يُدعى «إبن الله»!

وهو المَلك الذى يملِك على بيت يعقوب إلى الأبد... سوف يقوم ملوك، ويموت ملوك، ولكن مُلك إبنكِ بَاقٍ إلى الأبد... إنه حَىٌ إلى الأبد!

سوف ترتفع أصوات ملوك ضده، لكنهم سيتلاشون كالأمواج، وهو باقٍ على مرّ الدهور، وقد رنّم له داود - على العود - قائلاً: «لماذا إرتجّت الأمم، وتفكّر الشعوب فى الباطل... قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: «لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما...» (مز٢:١ - ٤) .... مَن أنتِ أيتها الأمم حتى تتطاولين على الرب؟! «الساكن فى السموات يضحك، الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلّم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه... أما أنا فقد مسحت ملكى، على صهيون جبل قدسى» (مز ٢: ٤ - ١).

هذه هى قُدرة إبنكِ فلا تخافى «ستُشاهدين أمجاد وعلامات قُدرته وعظمته!

سوف تسمعينه عندما ينتهر الريح لتَصمُت. والبحر يقول له «إبكم»... سوف يُسيطر على قُوى الطبيعة وستكون كلها

خاضعة طائعة لكلمة تخرج من فمه الطاهر، حتى الشياطين ستَراه من بعيد، وتهرَب منه فزعةً مقهُورة!! فهو الإلَه الظاهِر فى الجَسد.

† **أنك يا مريم**، وأن كُنتِ تُظهرين الخَوف الآن، وتضطربين لكلماتى لأول مرة، فلا تخافى لأنكِ ستكونين «مَلجأً للخائفين»! سيأتى اليوم الذى فيه سيلجأ إليكِ الخائفون، وسيأتى إليكِ المُتضايقون يلتمسُون شفاَعتكِ، لتزول الضيقات، وتُشفى الأمراض وتُواسى المتألِّمين... سوف تمتلىء بيوت مُظلمة بالنور، الذى تشعّينَه إلى قلوب حَائرة، سوف تمتلىء هذه البيوت بالسلام والراحة والإطمئنان. فلا تخافِى، ستكونين مصدَر السلام لكثيرين ومَخدَع الكثيرين، لأنك الملِكة الجالسة عن يمين الملك، وهو يُنصت ويستجيب إلى أمه الحَنون.

هل تُريدين أن تعرفِى معنى «السَيف» الذى سيجُوز فى قلبك، سوف يُعذبّون إبنكِ، ويقتادُونه للصلب ويُحاكمونه، ويُبصقُون عليه، وسيضَعُون عليه إكليل الشوك!!

هذا هو السَيف المَوعود به. لا تخافِى . بعد أيام قليلة ـ من كل هذا الألم ـ وهذا العذَاب، بعد ثلاثة أيام، سوف يتحولّ الألم إلى بَهاء، إكليل الشوك إلى المجد، وظلام القبر سيتحولّ إلى نور، وستُصبحِ أُغنية البَشر... فى جميع أنحاء العالَم... قام المسيح بالحقيقة قام... وشُكراً لهديتَكِ يا أم النور، التى قدّمتيها للعالَم الجاحد!

✝ **لا تخافى يا مريم:** فقد طمّأن المسيح كل الناس، حينما قال «كل من يُسمع كلامى هو أبى وأختى وأمى..» فلا تخافوا يا أبناء المُخلّصِ، لأنه يُحبّكم إلى هذا الحد!

إننا عندما نخاف، فإننا نخاف من الساعات المظلمة على الصليب... لماذا لا نَمتّد بأفكارنا الى الحياة المَجيدة، والنُصرَة الخالدة الأكيدة، الى المَجد الذى ينتظرنا، إلى جبل الصعود، حيث النور والبهجة والحياة. فقد سمع العالَم عندما قال: «كما سأنطَلِق، فسوف آتى هكذا....»!

ونحن أمام هذه الأحداث الخالدة، علينا أن نأخذ الأمور برَجاء، بعزاء، بأمل، فهو وإن صُلِبَ وقُبِر، فقد قام... إنه مات لكى يُعزِّى كل المدفُونين فى القَبور، يعطيهم حياة جديدة. وقام من الأموات ليُقيمَنا من آلامنا ـ من ظلامنا ـ وصعد إلى السماوت، ليصعَد بنا نحو الأمجاد، ويُجلسنا معه فى السموات، طالما أحببْناه وعِشنا معه.

† **لا تخافى يا مريم:** إنه نداء لكل نفس، إنه نداء للإطمئنان، إلى كل نور فينا: «لا تخافوا! هوذا أنا معكم كل الأيام» وإن كان الطريق كَرب، والباب ضَيِّق، لكن أنا معكم! إن كانت الأيام صَّعبة فسوف لا أتركَكُم...» أيهما أفضل أن تسير فى طريقٍ كَربٍ، ومَعكَ المسيح، أم تمشى فى طريق من الزهُور وحَدكَ؟!... كل الذين ساروا فى الطريق الواسع فقِدواْ وضَلُّوا، لكن الذين دَخلوا من الباب الضَيِّق، هؤلاء جَميعاً نسَمع عنهم «أمجاد وأكاليل» بما يُلهِب القلب، ويُعطينا الأشواق، لأن تكون

من نصيبنا، هؤلاء هم القديسون المَحبُّون للرَب، والأبرار والشُهداء.

أما الذين سلكُوا فى مباهج الحياة، وتمتعُّوا بمسرَّاتها، وناموا على السرير الحرير، لم يَكُن لهم أى نصيب فى السماء!

كان من هؤلاء القدّيسين المجاهدين أولاد ملوك تركوا العروش والتيجان، وذهبوا للبرارى والقِفار. أرادوا أن يعيشوا مع اللّه ـ فى الخَلاء ـ وكلما أمضُوا أوقاتاً فى خلوِتهم كلما ظَفروا بمحبة اللّه، يَسمعَونه ويسمعَهم، ويُحبُّونه ويَحَبهم، وكانت كل أعماق قلوبهم وأسرارَهم يكشفها لهم، فطوَباهم بنصيبهم الصالح.

... **عزيزى الأخ**: إبعد عن ضجيج الحياة وصخَبها. أُدخل إلى مخدَعك وأغلق بابكَ، إسمع صوتَه، وأنصت إليه، وأفرِغ قلبكَ

من هموم العالَم، وشهوات الدنيا، واملأ عقلَك وفِكرَك بكلمات الله المعزّيّة، فستسمَع صوتَه الجميل المُعَزّى، وسوف لا يُعادِله فى الجَمال كل أصوات موسيقى العالم!

✝ **لا تخافى يا مريم:** وإن كُنتِ الشابة اليتيمة! فسوف تكون حياتكِ مُلهمة عَباقرة الفَن، سعيدة يوم تُرسَم لكِ صورة، وسوف يفتخر ويَسعد عباقرة النحت يَوم ينحتون لك تمثالاً، يُوضِّح صورتكِ الوديعة، ويشع شيئاً من نوركِ الذى أضفَاه الله عليكِ.

إن صورتك يا مريم، سوف تُحاط بالذّهب والجواهر، وتتبارك بها البيوت، سوف يضعون أمامك هذه الشموع ليل نهار، إجلالاً لكِ!

إننى أقبلتُ اليوم يا مريم، لأقُدِّم لك بُشرَى فوق مُستوى العقل والفكر البَشرى وتَأكدِى أن إلهكِ الذى اختاركِ، حريص عليكِ أكثر من حرصكِ على نفسكِ.

وبعدما قالت أم النور: «هوذا أنا أَمة (عَبدَة) الرَب، ليكُن

لى كقَولِك» مضَى من عندها الملاك». لقد عَلق أحدهم على عِبارة (مضى من عندها الملاك) بقوله: «وماذا ينبغى للملاك أن يَفعل؟ ماذا يبقى له؟ إلاَّ أن يمَضى بعد أن حلَّ المَلك فى أحشَائِها... حَلَّ ملك الملوك فى أحشائها!!

✝ ✝ ✝

ولنتأمل قليلاً، عندما كان يسوع طِفلاً، ماذا كانت مريم تفكِّر؟!

«هل هذا الطفل المُحتاج إلى رعايتى، هو نفسَه إلهَى الذى أترَّنم له؟! وعندما كَبر إلى سن ١٢ سنة، وافتقدُّته، ولم أجده»!. ولكن لماذا خشيَت عليه؟! أليس هو اللّه؟! فماذا كان يُحيِّرِها؟! انها كانت تُحس أن هذا سِر عجيب! إنه هو اللّه حَقاً، لكنه إبن الانسان الذى جاء بروُح اللاهوت، أخذاً جسداً بشريّاً، ولم يتحوّل اللاهُوت إلى نَاسوت، ولا الناسوت إلى لاهُوت!! فقد كان يَبكى بين يديهَا كالأطفال، ويَبتسِم أيضاً!

وكان يفتح عينيه ويتأمَّل، وهو في عُمق صمتِه وتأملِه...
كان قلبها يسجُد له، وتقول له : «يا إلَهي أنت مَدبِّر كل الكَون». كانت في عُمق الإيمان، وتعلم مَن هو؟! أنه هو اللّه الذي ظهَر في الجسَد! وليس هو الإنسان الذي صار إلهاً، وبالطبع لا يعُسر على الله شيء.

في عُرس قانا الجليل. لم يكن قد بدرَت منه أيَّة بادرة، أو أية مُعجزة. ومع ذلك لما رأت أن الخمَر قد نفذَت: تقدَّمت بقلب كله إيمان وثقة، وقالت له «إصنع شيئاً، الخَمر فرغت» فقال لها: «لماذا تسبقين الأيام؟! إن ساعتي لم تَأتِ بعد».

لقد طلَبِت منه أن يعمل شيئاً، لأنها كانت تعلم أنه لا يَردُّ لها طلباً وفي ثقة تامة قالَت لهم: «مهما قال لكم إفعلوه» وبشفاعة أمه يستجيب وتتِم المُعجزة! (يو ٢).

إن هذه القصة توضح لنا أن مريم كانت واثقة من لاهوت المسيح، وعندما ارتفع المسيح على الصليب ماذا كان مُستوَى

تفكيرَها ؟! بلا شَك كانت تُدرك بقوة إيمانها: انه صُلب بإرادته وحدَه. ولا يستطيع أحد أن يَسلُبه حَقَّه: «لى سُلطان أن أضَعها، ولى سُلطان أن آخُذها». وعندما وقفت مريم أمام الصليب كانت تتأمل، واجتازت آلام الصَليب مع إبنها، وحبيبها! ولكن بعد ثلاثة أيام، قام من الأموات! وهذا هو رَجاؤها وثقتها، «لأنه لا يُمكن أن يَبقى إلَهى فى القبر، كما سَبق وأعلن صَراحةً».

تُرَى لو وَقفَ الملاك يوماً... بعد كل هذه الأحداث، وسألها: ما رأيكِ فيما مَضَى يا سِيدتى؟! «سوف تَبتسِم وتقول»: أنا لم أخَف... أيها المَلاك... لأن إرادة الرَب صالحة لأولاده، ولكن فكَّرت كيف يتم ذلك وقد بشرّتنى وأقتنَعتُ، وسلّمتُ أمرى إلى اللّه، وعندئذ فاضَت الكلمات من فمى وقالت: «تُعظم نفسى الرَب، وتبتهج روحى باللّه مُخلِّصى». المجد لإلهنا الذى شرَّف البشرية كلها، عندما أخذ جسدنا وحَل فى أحشاء مريم!

ما أسعدنا بهذا المجد المذخر لنا نحن البشر!! ما أسعدنا

بخلّصنا الذى سمعناه وأحببناه بعد أن أحبّنا وبذل نفسه من أجلنا.... له المجد دائماً . آمين.



الفصل الثانى

بين الخوف والمخافــــة(1)

تقترب الكلمة العبريّة «للخَوف» «yir'ah» من الكلمة العربية «يَرتاع»، أو يَرتعب ويرتعد، أو يرتجف هَلعاً من أمرٍ مُخيف (خر ١٥:١٦). وقد تعنى الخَشية من إضرار الناس لهم (أم ٢٩:٢٥)

وقد تعنى أيضاً الخوف الشديد أو إدخال الرُعب فى القلب (أى ٤١:٢٣) - أما الكلمة اليُونانية التى تُشير للخوف. والتى وردت فى العهد الجديد فهى «فوبوس» (PHOPOS) بمعنى الفَزَع أو الهَول أو الإضطراب: لأجل أمر مُخيف (مت ١٤:٢٦). أو من الاحساس الذهنى من اقتراب الخطر الداهم (مرض «الفُوبيَا» أى الخوف من الإرتفاعات) وثمَة نوعان من الخوف كما يوضِحّهمُا لنا الكتاب المقدس. أحدهما خوف **مقدس** يُحثنا الله إليه. وخوف سلبى **غير مقدس** يُحذرنا منه الكِتاب كما يلى:

---

(١) للخادم دياكون د. ميخائيل مكسى.

أولاً: الخوف المقدّس

١) مخـافة اللّـــه:

هناك فَرق بيـن الخَوف، أو الإرتعـــاد مـن اللّه وعـــقـــابه الشَديد، ومن ذكـر إسـمـه، وخَوفٍ من بيتـه، ومن أسـراره المُقدسّة، كمـا سنرى - فيـمـا بعـد - وبين مخَافـة اللّه التى تَعنى «احـتـرامـه وتـوقـيـره وحُبـه الشـديد» فى نفس الوقت. «رأس الحِكمة مَخافة الله» (مز ١١١: ١٠).

والخَوف المُقـدّس مَعناه «إننا نخَاف أن نُغـضِبُه» لا نـخَاف منه، وتلك المَهابة يَحثنًا عليها الكتـاب، فى آيات كثيرة جداً، ونَذكُر منها ما يلى:

+ «إخشَ إلهك» (لا١٩: ١٤)

+ «لم تَخشوا بعدَ من الرب» (خر ٩: ٣)

+ «إعبدُوا الرَبَّ بخوف» (مز ٢: ١١) أى بجدية واحترام لائق لجلالهِ الأقدس، لأنه «اللّه العَظيم المَخوف» (يو ٢٠: ١١، ملا ٤: ٥).

+ «خافوا بالحَرى من الذى يقدِر أن يُهلِك النَفس والجَسد، كليهما فى جهنم» (مت ١٠:٢٨)

+ «سيروا زمان غربتكم بخوف (الله)...» (١ بط ١:١٧).

+ «أحبوا الإخوة، خَافُوا الله» (١ بط ٢:١٧).

+ «مُلاحِظين سيرَتكُنَ الطاهرة بخوف» (١ بط ٣:٢).

+ «خافوا اللّه واعطوه مجداً» (رؤ ١٤:٧).

+ «أيها البنون - استمعوا إلىّ - فأعلِمَكم مَخافة الله» (مز ٣٤:١١).

وقد تعنى أيضاً حِفظ وصاياه (مز ١٩:٩). ولا شك: فإن مَخافة الله لها بَركاتها الكثيرة، منها بث الثقة فى نفوسِنا (فى وجود الله مَعنا، فى الدُنيا، والآخرة).

وبمخافته ننَال رحمتَه «قَويت رحمته على خائفيه» (مز ٣: ١ - ١١)، «يعمل رضىَ خائفيه» (مز ١٤٥:١٩)، «يتراءَف

الرَب على خائفيه» (مز ٣:١٠٣). «ويُعطيهم البركات العادية والروحية، ويستجيب لطلباتهم» (مز ١١١:٥). والشعور بالطمأنينة والسَلام فى كل مكان: «بيوتهم آمنة من الخوف» (أى ٢١ - ٩). «وحتى إن سرتُ فى ظل وداى الموت لا أخافُ شراً، لأنك أنتَ معى» (مز ٢٣:٤) «وعين الرب على خائفيه» (مز ١٨:٣٣) «وخلاصُه قريب من خِائفيه» (مز ٩:٨٥).

ومخافة الله تقِف حائلاً بيننا وبين فِعل الشر، هى من عمل الروح القُدس فى النَفس، وهى سواء كانت خوفاً من عقابه، أو طَمعاً فى حُبه بمعنى إرضاء قلبَ الله وعدم إغضابه بالسلِوك فى الخَطية.ويَرى البعض أن مخافة الله تعنى مُمارسة الفضيلة لذاتِها، لا طَمعاً فى ثواب ولا خوفاً من عِقاب وهى التقوى العَملّية: (يع :٢٧) التى سارَ فيها القدّيسون درجات كثيرة: «السالِك باستقامة يتقّى الرَب» (أم ١٤:٢).

ويساعدهم الله على ذلك «أجعل مخافتي في قلوبهم» (إر ٣٢: ٤٠) بينما يتَميَّز الأشرار بعكس هذا السلوك «ليس خَوف الله قُدامُ عيونهم» (رو ٣: ١٨) ولسان حالهم يقول «قَسِيت قلوبنا عن مخافتك» (أش ٦٣: ١٧).

ومن بَركات مخافة الرب أيضاً **رعاية ملائكته لمؤمنيه:** «مَلاك اللّه حالّ حول خائفيه ويُنجيّهم» (مز ٣٤: ٧) «الساكن في سِتر العَلي، في ظل القَدير يَبيت ... لأنه يُنجّيك من فخ الصيَّاد (مؤامرة الشرير)، ومن الوَبأ الخَطِر... لا تَخشى من خوف الليل... ولا من هَلاك يفسد في الظهيرة، يسقُط على جانبك ألوف، وربوات (من الشياطين) عن يمينَك، ولا يقتربّون منك»! (مز ٩١: ١ - ٧) إذن، يختفي الخَوف من قلب البَار لأنه مُطمئن، بسبب عدم مَعصية الله، وعَمل ما يرضَاه، وينَال المجازاة: «مَن خَشِيَ الوَصية يُكافَأ» (أم ١٣: ١٣).

ويقول أحد المُفسّرين: «مخافة اللّه دليل الإكرام لإسمه القدُوس. وخشية إغاظته عند تَعدّي شريعته الطاهرة، وتحتاج

إلى الإيمان والسَهر والتَذلّل والصَلاة وتقترن بالطاعة، لأنها أشبه بخوف الإبن من أبيه، إحتراماً لا رهبة، وتتولّد عنها فضائل أخرى كالوداعة والمحبة والثقة والشكر الدائم، والحِرص الشَديد.... (عب ١١:٧). وتَقُود للتَوبة (يو ١:٥) وتُربّي الضَمير الصالح (خر ١:١٧). والشهادة للرَب، والشعور بالسَلام، والإطمئنان «إن قام عليّ جيش لا يخاف قلبي» (مز ٢٧:٣).

وينعم المُؤمن بعِشرَة الرب أيضاً في السَماء. وسيخَرج صوت من العرش (الإلهي) قائلاً: «سَبّحوا لإلهنا، يا جميع عَبيده الخائفين الصِغار والكِبار» (رؤ ١٩:٥)

ويقول القديس مار إفرام السُرياني: «إن شئت ألا تُخطيء، احفظ مَخافة الله» وقال أنبا يعقوب: «مثل المصباح الذي يُنير البيت المُظلم، كذلك خوف الله، إذا دخل في قلب الانسان، فإنه يُضيئه، ويُعلمّه الوَصايا».

وقد قال القديس الأنبا انطونيوس لتلاميذه: «أنا لا أخاف الله»! فقالوا له: «إن هذا الكلام صعب يا أبانا» فَذكَر لهم السبب بقوله: «لأنى أحبه يا أولادى والمحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج» كما قال القديس يوحنا الحبيب (١ يو ٤:١٨).

هذا ويمتد خَوف الله فى القلب إلى مخافَته أيضاً فى بَيتكَ وفى عملِك وفى كافة تعاملاتكَ. كما كانت الحال مع يوسف الصديق، الذى قال للمرأة الشريرة بكل جرأة: «كيف أفعل هذا الشرَ العظيم، وأخطىء إلى الله»؟! (تك ٣٩:٩)، غير خَائفٍ من سَطوتِها وعقّاب زَوجها، ذو السلطان الكبير.

وكذلك تكون مَخافة الرب، وتوقيره «فى بيته» وأثناء عبادَته: (كما تفعل الملائكة التى تُغطى وجوهها بأجنحتها أمام العَرش الإلهَى)!

يقول المُرنم الحلو: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتكَ، أسجد فى هيكل قُدسَك بمخافَتك» (مز ٥:٧).

٢) الخوف من الهلاك الأبدى:

لابُد أن يكون المؤمِن حَريصاً على طَلب الخَلاص حتى آخر نَفس فى عُمره، كما فعل كِبار القدّيسين، خشية الدينونة المُخيفة (عب ١٠:٢٧). «ومن أجل خوف عذابها» (رؤ ١٨:١٥). «ولأنه مُخيف هو الوقوع فى يدّى الله الحَى» (عب ١٠:٣١).

وأن يكون مُستعداً باستمرار بالتوبة والأعمال الصالحة (راجع مثل العذارى الحَكيمات والجاهلات : مت ٢٥).

وقال الرسول بولس: «أقمع جسدى واستعبده، حتى بعد أن كَرزت للآخرين، لا أصيرُ أنا نفسى مَرفوضاً» (١كو ٩:٢٧). وقال مُحذراً العبّرانيين الذين آمنوا بالمسيحية. «عِظوا أنفسكُم كل يومٍ، لكى لا يُقسّى أحد منكم بغرور الخَطية.... ولمن أقسَم لن يدخلوا راحته إلا للذين لم يَطيعوا (الله فى سيناء)....، فلنخَف إنه مع بَقاء وعَد بالدخول إلى راحته، يَرى أحد منكم انه قد خاب منه» (عب ١٣).

وقـال الرسـول أيضـاً: «لا تُسـتكّبـر بل خَفْ» (رو ١و٢٠)، «إن فَعلت الشرَ فـخف» (من الهـلاك الأبدى) (رؤ ١٣: ٤) لاسيمـا وأن الشيطان يَعـمل ـ بكل جهده وجنوده ـ على إبعَاد المسيحيين عن طريق الأبدية السَعيدة.

ومِن ثم يقـول القـديس بولس مُحـذراً: «أخافُ أنه كـما خـدعَت الحّيـة حـواء بمكرها هكذا تُفـسـد أذهانكم» (٢ كو ٣:١١) «لأني أخـاف إذا جئت أن لا أجـدكم كـمـا أريد (في النمـو الروحى).....» (٢ كـو ١٢: ٢٠) «أخـاف أن أكـون قـد تعّبتُ فيكم عَبثاً» (غل ٦:١١).

وكم من كـثـيـرين يؤجّلون التـوبة، ويقلدّون طاعـة الوالى فيلكس لوصيـة إبليس فقد سجّل عنه الكتاب، «أنه أستحّضَر بولس، وبينمـا كان الرسـول يتكلّم عن البّر والتعّفف، والدينونة العـتـيـدة أن تكون، إرتعَب فَيلكس وأجـاب «أمـا الآن فـأذْهبَ ومتى حَصلتُ على وقت أستدعيك» (أع ٢٤: ٢٤ ـ ٢٥) وهو الآن في الجـحـيم بسـبب تهاونه في طاعـة صوت الله، ورفضه السَير في طريق القداسة، ومخافة الله.

وعلى ذلك ينبغى أن تكون العظات الروحية قوية، ومملوءة بكلمات النِعمة التى تُنخس القلوب فتُسرع بالتوبة وتحذرّهم بشدة من نار جهنم، كما قال الرسول يهوذا: «خلّصَوا البعضَ بالخوف» .

✝ ✝ ✝

ثانياً الخوف الغير مقدّس

هو الخوف السَلبى، الذى يَقود إلى الوقوع فى كثير من الخطايا مثل الكذب (تك ١٨: ١٥ ، ٢٦: ٧) وإنكار الحَق (يو ٩: ٢٢). فقد خاف والدّى المَولود أعمى من النَاس! ولم يشهد للحق والهَرب من طريق الرَب، كما فعل آدم الذى قال «خشيتُ لأنى عُريان فاختبأتُ» (تك ٣: ١٠)!.

وتقود الخطية إلى القلق والخوف : «ارتعب الخُطاة» (أش ٣٣: ١٤). وكما عَبرٌ أيوب الصدّيق إنهم يرتَعدُون من مجرد وجود ورقة شجر تُصدِر صَوتاً (أى ١٣: ٢٥)!!

ومن أشكال الخوف «السلبي» الضار للنفس:

١) الخوف من الناس

إذا كـان الـكتـاب يدعُونا إلى الخـوف من الشَر، فنتـجنبـه ونبـتـعـد عنه، لكن الرب يؤكـد لنا ألا نخـاف إطلاقـاً من الأشـرار أنفسـهم، مـهـمـا كـانت سَطوتهم: «أمـا خـوفـهم فـلا تخَافـوه» (١ بط ٣:١٤) «لا تخـافـوا ولا ترهَبـواْ» (تث ٣:٦) لأنهم لا يسـتطيـعـون أن يَضرّواْ المؤمنين بأى شيء ضار مهـما كانت مؤامراتهم، وأعمالهم الشريرة (إر ١٠:٥).

سـواء بما يُسعى بحَسد العين، أو بالسـحر (= الأعـمال السـحرية) أو بما يُشبـه ذلك، من خُرافـات العَالم القديّم، فـقـد أعطى الرب المؤمنين السُلطان لكى يدوسوا الحيَات والعـقارب وكل قُوأت العَدو، وحـتى لو شربوا سُمـاً مُميتـاً لا يَضُرّهم! (لو ١٠:١٩) ويقـول الكتـاب «إن أرضّتَ الرَب طرق إنسـان جَعَل أعـداءه يُسـألمونه» (أم ١٦:٧) وفـوق ذلك فـهـو يُعطِي الهَيـبَة لأولاده أمـام أهل العـالم (تك ٣١:٤٢) ولسـان حَالِه يقـول

«الرب لى مُعين فلا أخاف ماذا يَصنع بى إنسان» (عب ١٣: ٦) وقوله أيضاً: «الربُ نُورى وخَلاصى، ممن أخاف»، « الرب حصن حياتى مَمِن أرتعب» ؟! (مز ٢٧: ١) «وإن كان الله مَعنا فَمن عَلينا » ؟! (رو ٨: ٣١).

وقد يعني الخوف من الناس - على ضوء الكتاب المقدس - الخَوف من الإفصاح عن آراء المؤمن أمام أهل العالم (أم ٢٩: ٢٦) أو بعبارة أخرى «إنكار الإيمان، بأية صُورة، خوفاً من البَشر، أو من قلة عطاياهم.

ونتيجته الطبيعية هى رَفضَ المسيح الإعتراف بهؤلاء الناكرين أمام ملائكته القدّيسين يوم الدين (مت ١٠: ٢٣).

ولهذا لا تَستغرِبَ أن يكون الخائفون على رأس قائمة الذاهبين إلى موضع العذاب الأليم، كما سجّله الكتاب هكذا : «وأما الخائفون وغير المؤمنين، والرجَسون والقاتلون والزُناة، وجميع الكذَبة، فنصيبهم فى البُحيرة المُتقِدة بنار وكبريت» (رؤ ٢١: ٧ - ٨).

٢) الخوف من عوامِل الزمن:

١) لا نخاف من الاحتياج: لأن الله غَنى ولا ينَسى أولاده «لم أرَ صدّيقاً تخلى عنه، ولا ذُرِّية له تلتمس خُبزاً» (مز ٣٧:٢٥). وهو الذى عَال بنى إسرائيل فى البرِّية «٤٠ سنة»، ولم تَبلّ ثيابهم أو أحذيتهم طوال إقامتهم هَناك، فالرب هو هو أمس واليوم، وإلى الأبد، ووعوده صادقة وأمينة، إسمَعَه يقول لكل أولاده، «لا تهتموا لحياتكم بما تأكُلون وبما تشرَبُون، ولا لأجسادكم بما تلبسُون... أنظروا إلى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مَخازن، وأبوكم السماوى يَقوتها»؟!.

«ولماذا تهتونّ باللُباس؟! تأملُوا زنَابقَ الحَقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم أنه ولا سليمان فى كل مَجده كان يلبس كواحدة منها! وإن كان عُشب الحَقل الذى يُوجد اليوم، ويُطرح غداً فى التنّور (الفُرَن) يُلبس هكذا»(= من الألوان الجميلة)، أفليس بالحَرى جداً يُلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان؟! فلا تهتمُّوا قائلين ماذا نأكل؟! أو ماذا نشرب؟! أو

مـاذا نلبس؟! فـإن هذه كلهـا تطلبـهـا الأمَم (= وسر شَقائهـا وخوفهـا حـالياً)، فـلا تهـتـموا للغَد، لأن الغَد يهـتمُ بما لنفـسه، يكفى اليَوم شرّه» (مت ٦ : ٢٥ - ٣٤).

وعلمنا أن سر السـعـادة وراحـة البـال فـى ثلاثـة خـصَال «الوداعـة ـ الطاعـة ـ القناعـة»: «خُبـزنَا كَفافنَا إعـطنا اليـوم» (مت ٦ : ١١) «إن كـان لنا قـوتٌ وكِسوة (لُقـمـة وهدمـة)، فلنَكتَف بهما»! (١ تى ٦ :٨).

✝ ✝ ✝

ب) الخوف من المرَض

صَدق القـائل: «إن الناسَ فى خَوفٍ من المَرض، **فى مَرَض**» (الأمـراض النفـسيّة ومنهـا الوَهم والخـوف). وهو نفس المَعنى الذى ذكَرَه الوَحى، بلسـان أيوب الصدّيق فى تجـربَة مَرضه الشـديدة حـينمـا قـال: «لأنى إرتعـاباً أرتعـبت **فأتانى**، والـذى فـزعت منه جـاء عَلىَّ لـم أطمَئن ولم استَرح» (من الأفكار) (أى ٣ :٢٥ - ٢٨)!.

وعلى المسيحى أن يؤمن بأن الرَب سيشفيه، أو أنه سيُخفّف عنه آلام المَرض البَدنية والنَفسَية: طالما قوّى إيمانَه، وقال مع المُرَنّم: «يوم خَوفى أنا عليك أتكل» (مز ٥٦ : ٣٠).
ويثق أنه يَضَع مع التجرِبة المنفذ، ويَمنَح المؤمن المريض. تعزيات روحية كثيرة!. وحتى لم ينل شفاءه، سيعلم أنه لمصلحته الروحية فعلاً، كما قال الرسول بولس «نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله» (رو ٨).

† † †

جـ) الخوف من الأخطار والتجارُب:

التجارُب **أمر طبيعى**، فى الدُنيا، ومهما تعدَدت أنواع المتاعِب أو المصاعب، فإن المُؤمِن يُحس أن الله معه. **لا يمنعها عنه**، ولكنه يكون فى الأتون **معه**! وقد كان السيد المسيح له المجد - فى السَفينة فى البحر الهائج، وقام وانتهر الريح، فتوقفت العاصفة، وخاطب تلاميذه قائلاً: «ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان» (مت ٨:٢٦). نَعم «هو فى

وسطِكُم، فلا تخافوا» (حجى ٢:٥). فقَل مع المُرنِّم «على الله توكلت فلا أخاف» وقل أيضاً «الرب لى، فلا أخاف» (مز ٦:١١٨).

لقد ورَد في الكتاب «٣٦٦» إشارة إلى موضوع الخوف والمَخافة، فكأن الرَب يريد أن يقول لكل مؤمن، كل يوم من أيام السنة: «لا تَخف لأني معك... قد أيدتك وأعنتُك وعضدتُك بيمين بِرّى، يكون مُحاربوك كلاشيء وكالعدم، لأنى أنا الرب إلهك، المُمسِك بيمينك، القائل لكَ لا تخَف أنا أعينَك» (أش ٤١: ١٠ - ١٣). وقول الرب يسوع لجماعة المؤمنين الذين يعيشون الآن في وسط كثَرة من أهل العالَم «لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكُم قد سُرّ أن يُعطيكم المَلكوت».

وقال أحد الآباء المُعاصرين: «لا تخَف من الماضى، لأن المسيح مَسحه من كتابِك، ولا تخَف من الحاضر، وعِش مع الله تجِدَ مَعونته وسَندَه، ولا تخَف من المستقبل، لأنه بيد الله حَبيبك». وقال آخر «نحن لا نعرف المستقبل، لكننا بيد من له

المستقبل».

د) الخوف من الإضطهادات «من أجل الإيمان»

عاش الشُهداء والمُعترفُون (بالايمان) فى تَجارب من أجل الإيمان، وسَعُوا نحو أماكن الألَم المُبارك، بعد ما تَركُوا كل مالَهم وعيَالهم، وقد قام الوَثنيون الرُومان يذبح أبناء القديسة رفقة على حجرها، وكذلك فَعلُوا بأطفال الأم «دُولاجى». وشجّعت أم القَديسيْن قزمان ودميان أبناءها جميعاً على الإستشهاد، من بَعدِها!

وقد خَاطَب الرَب أولادَه قائلاً: «**اقول لكم يا احبّائى لا تخافوا** من الذين **يقتلون الجَسد**، وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر. بل أريكُم ممن تخافون؟ **خافوا** من الذى بعدما يقتل، **له سلطان** أن يلقى فى جُهنّم، **نعم اقول لكم من هذا خافوا**» (لو ١٢: ٤ - ٥).

وقد قال الرب لملاك كنيسة سَميرنا (= أزمير)، «أنا عارف أعمالك وضيقَتك، وفَقرك، مع أنك غَنى (بالنعمة). لا تخَف البَتة، مما أنتَ عتيد أن تتألَم به، (من أجل الله) هوذا إبليس مُزمع أن يُلقى بعضاً منكم فى السجن لكى تُجرّبوا، ويكون لكم ضِيق... كُن أميناً إلى المَوت فسأعطيك إكليل

الحياة، من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس، من يُغلّب فلا يؤذيه المَوت الثاني» (رؤ ٢: ٨ ـ ١١٩.

هـ) الخوف من الموت:

الموت في التعبير المسيحي هو «انتقال» للنَفس، من عالم الشقاء، إلي دار السعادة الدائمة، ولهذا فقد أشتهاه القُديسون (في ١ :٢٣) وأعتبروه ربحاً، ولم يرهبوه، ولم يفزَعوا منه كما يفعل الأشرار الغير تائبين، ومازالنا حتي هذه اللحظة نَري الأصدقاء، والأحياء، وهو يستقبلون الموت بفرح جَزيل، وتُنير وجوهَهم لمجيد الرب يسوع، وملائكته القديسين، الذين يُصحبون أرواح القديسين إلي فردوس النعيم، حيث يستقرون مؤقتاً، أنتظاراً للمُجازاة العظيمة التي لا تُخطر علي بَال إنسان!

إنها دعوة أخيرة لنا لنستعد للموَت، الآن قبل فوات الأوان، ونسعَد به كمَعبر (كُوبري) ينقلُنا سريعاً، إلي المقَر الأبدي، فلنفرح له، لأنه بدء حَياة جديدة سعيدة، بعد أنحلال الجَسد وأنطلاق الروح من أرض الشقاء، والتعب والمُعاناة إلي موطن الراحة والنَجاة، في حضرة الرب والملائكة والشهداء،

والقديسين. بَركة صلواتهم وشفاعتهم تكون مَعنا جميعاً. آمين.

بقيت كلمة نوجهها للقارىء المبارك -

وخاصة الانسان الذى يعيش وحده، نتيجة لظروف اجتماعية خاصة، أو بعد رحيل الشريك الأمين الى عالم المجد، أو ليس له سند أو مُعين، من البنين أو من الأقارب، أن يجعل بيته كنيسة مقدسة وديراً للعبادة لله وقراءة كلمته المعزية، أى أن يتفرغ لعبادة الله - فى بقية عمره - وسوف يقول مع المرنم للرب «ومعك لا أريد شيئاً على الأرض» (مز ٧٣).

ولا يخشى أن يرحل الى السماء وحده، فالجسد سيرجع إلى التراب، بأية وسيلة، ولكن المهم أن تصعد الروح الى فادى النفوس فى الفردوس. وأن يستمرّ في ممارسة كل وسائط النعمة التى تُقّوى النفس وتحصّنها ضد حروب عدو الخير، وأن يداوم على الاعتراف والتناول والصوم والصلاة وحضور الاجتماعات والتسبيح والخدمة، ولن يخاف أبداً فى وحدته، وستنمو صحته وتزداد سعادته.

فهل تجرِّب هذا الأسلوب الروحى، ليتنا نفعل منذ الآن، وكل أوان. ولله الشكر والحمد دائماً

+ + +

فضائل أم النور «مريم»

اقتنت الطوباوية «مزيم العذراء» فضائل كثيرة رغم صغَر سِنها، تعلّمتها في الهيكل المقدس، ومارستها في حياتها العملية، ومن تلك الفضائل الصبر، وطُول الأناة، والصَمت والحِكمة، والإيمان، وحياة التسليم، والاتضاع، والمحبة، والرحمة، والحنان، والطاعة، وغيرها.

وسنذكرها بإيجاز، لتكون سبب بَركة، وتعزية - لكل من يقرزها ويتبع آثارها، آمين!

أولاً: العذراء الصابرة:

تعَرضت أم النور، لمتاعب وتجَارب كثيرة - خلال مراحل حياتها المُباركة، علي أرض الشَقاء، ولم يمنع الرب عنها الألم، بسبب بَكَاته الكثيرة (فيلبي ١:٢٩)، ولكي تكون الأم الحنون مثَالاً، وقُدوَة صالحة، لكل المُجرّضبين، «من اجل الله» (وليس من أجل خطاياهم وعدم حِكمتهم).

وقد تعرّضت العذراء لآلام متنوعة، منذ طفولتها، حتي نياحتها السعيدة، تماماً كما تنبأ لها سِمعان الشيخ - في الهيكل - وقال: «وأنت يا مَريم **يجوز في نفسكِ سيّف**» (لو ٢:٣٥)، أي لابُد أن تنفذ الي قلبها سهام الألم، من متاعب الدنيا، ومن الأشرار! نُلخصَها **في التجارب الآتية:**

١) إتماماً للوَفاء بالنذر الإلهي، أدخلها والدَاها - الي الهيكل - في سِن الثالثة، وتركاها هناك! وبالتالي لم تتمتع بطفولتها البرئية، في جَري ولعب، ومَرح وفُسح، كبقية الأطفال (خارج الهيكل)!

بل كانت تجلس بين أيدي مُعلمي الناموس، تتدَرّب علي القَداسة والروحانية، وتتعلم العِلم الروحي، وتُصلّي وتصوم وتتصدَق علي فقراء الهَيكل (كما يذكر التَقليد)، وقضت خلال تلك المرحلة أكثر من تسع سنوات كاملة، إنفصلت عن أبويَها (يواقيم وحَنة)، والعالم، ولكنها نالت خلالها تعزيات إلهَية

ليست بقليلة، عملاً بقول الكتاب: «أبي وأمي تركاني، والرب يَضّمنيش (مز ٢٧: ١٠)». هكذا تركاها بمفردها، ورَحلا إلي عَالم المجَد!

٢ - وفي المرحلة التالية، كان عليها أن تخضع - بإيمان وتسليم كامل - للمشيئة الإلهية الصَالحة، **حيث كان عليها أن تفارق الهيكل بعد سِن البلوغ**، ولما كانت تلك الفتاة، يتيمة الأبوين، فقد تم إلقاء القرّعة الهيكلية لمعرفة من يتولي شئونها! فوقعت القُرعَة علي يوسف النجار «**القديس الكهل**» لتكون مخطوبته، وهي في سن حفيدته! وكانت العناية الإلهية قد رَتبتّ هذا الأمر الغريب، ليأتي منها الفادي، في ملء الزمَان، وقبلِت هذا الوضع في اتضاع!

وقد خدمت العذراء الشيخ الوَقور - دون تَذمّر - وحّولت بيتَه الي **كنيسة صغيرة**، ملأتها بالتسابيح والترانيم والمزامير، كما شغلت فراغها بتطريز ستائر الهيكل، فأعطاها الرب سلام

القلب، وشرّفها الملاك غبريال - بزيارة مُباركة - في منزلها الريفي المتواضع، وبشرّها بالحَبل من الروح القدس، ومجيء مخلص البشرية منها!

٣ - وعانت الفتاة الصغيرة، من آلام نفسية حادة، حينما شك القديس يوسف، في أمر حَبلها العجيب، وله العُذر كبَشر، لا سيما بعدما قضت عِدة أشهر بعيداً عن بيته (في خدمة اليصابات)، في سن تدعو الي الشك، وأراد تَخليتها سِراً (مت ١:١٩) من بيته بدلاً من تسليمها للرَجّم، كما تقضي الشريعة الموسوية!

ولا شك انها تعبت من نظراته، إلا أنها لم تُدافع عن نفسها، وعن عفتِها وطهارتها، بل تَحملت الألم النَفسي الشديد، في هدوء وصَمت، عملاً بقول الكتاب: «الرب يُحَامي عنكم، **وانتم صامتون**» (خر ١٤:١٤) ولابُد أن يُلن الرب الحقيقة، ولو بعد حين! وفي الوقت المُعين، أعلن المِلاك براءَتها

فاطمأن رفيقها إلي برهان السَماء، ولم تُكن العذراء بقادرة علي تقديم مثلِه لخطيبها مهما قالت!

٤ - وتألمت أم النور، حينما شاءت عناية السماء أن تضع وليدها المُبارك، في بيت لحم، إتماماً للنبوات (ميخا ٥:٢) وكان عليها أن تُسَافر من مدينة الناصرة ـ عُبر الجبال - وفي وقت الشتاء القارس البرد، وعلي دواب بطيئة السير! ولما كانت بيت لحم تعج بالوافدين، لأجل التعدَاد الرسمي، فلم تجد أم النور مكاناً تلد فيه، سوي «مذْوَد بقر» (زريبة للبهائم) في موضع رَطب، غير نظيف، ورقد الطفل الألهي علي التَبن، بين أصوات الحيوانات ولم تجد له أمه غطاءً، ولا ثياباً مناسبة تقْمطه بها، وهو دَرس لكل نفس، وسبحان الله فى أمره!

ومع كل هذه المتاعب، كانت هناك تعزيات، فتشارك الملائكة فَرحة العذراء بالمولود السعيد، وتقدّم الحَمد والتسبيح للرب وتتمتع العذراء بلقاء ملوك المشرق (المَجوس) وتتلقي منهم

الهدايا العظيمة، وتلك هي المكافأة الوقتية، التي تُوهب الي نفس راضية بحالها، غير متذمرة علي وضعها الصَعب!

٥ - **ثم ازدادت التجربة درجة اخري من الشِدة**، حينما صَدر إليها التحذير الإلهيَ، بأن الملك القاسي، هيرودس، مُزمع أن يقتل طفلها الرضيع، وليس أمامها سوي أن تُسرع بالهرب إلي أرض مصر (مت ٢:١٣)!

وما أقساه من سَفر! وما أطولها رحلة في أرض غريبة، وبين أناس لا تعرف لُغتهم أو عاداتهم!

وقد قطعت العائلة المقدسة ـ آلاف الكليو مترات - في طريقها من جبال فلسطين، الي وادي النيل، سِراً علي الأقدام، وعلي الدواب بين زمهِرير الشتاء، وهَجير الصيف، ويذكر التاريخ القديم، أنها تعرضت **لتجربة اللصوص من القساة القلب**، في صحراء سيناء، تأكدت بعدها برعاية الله لها!

وعندما وصلت إلي أرض مصر، قوبلت بالرَفض والطَرد

أينمـا حَلت، حـيث كـانت الأصنام تتـسـاقط عند مـرور الطفل الإلهي أمامها فيسرع المصريون بطرد العائلة المقدسة، تَشاؤماً منها!

وليس لنا أن نُذَلِل هنا، علي مـدي **شظف العيش**، فـي أرض غريبة جنساً ولُغة، مع تعَب الجسد، من كثرة التنقُّل، الترحال، من مكان إلي آخر، في الصحراء والوادي والجبل، بحثاً عن أية عائلة يهودية تأنس إليها، في غُربتها، وتتحدث معها بلغتها، حتي وصلت إلي جوف الصعيد، حيث زختبأت في مَغارات الجبال، هرباً من جنود هيرودس، الذين سعوا ورادهم (كما يذكر التقليد)!

وقد نالت العذراء التعزيات الروحية، والبركات الإلهية، أينما ذهبت (كما كانت الحال معها داذماً) حينما كانت تُشاهد «وليدَها» العظيم وهو يصنع المعجِزات الباهرة، وبيده الطاهرة كـان يُفـجّر الماد من باطن الزرض (في مـسطرد) ويشـفي

المرضي، ويُقدّم البركة للمكان الذي يحل فيه . ولسان حالها يقول مع الرسول بولس: «كحَزاني، ونحن دائماً فرِحون، كأن لا شيء لنا ونحن نمِلك كل شيء».(٢ كو ٦ :١٠) وفي الوقت الذي رفض فيه أهل المطَرية إقراض العذراء «حفنة من الدقيق» (وقد فارقتهم البَركة ولم يخَتمر لهم عَجين)، إلا أنها تطوّعت بالعَمل لدي بعض الأسَر المصرية، فبارَك الرب في خَبيزهم، الذي شاركت فيه «أم النور» بيدها المباركة!

وهكذا تباركت بلادنا بَمقدم مُخلّصنا الصّالح وزمه الطاهرة المباركة وبعد نحو عامين من المُعاناة، في أرض الغُربة، عادت الأم الحنون بطفلها المبارك - من نفس الطريق الوعرة، وبعد سَفر طويل، استقرت العائلة المقدسة في «الناصرة» (لو ٤:١٦) وبدأت العمل في حِرفة النجارة، لتوفير لقمة العيش، وعبادة الرب في بساطة وحُب.

٦ - ويُسجل الكتاب المقدس، أن العذراء الطاهرة عَانت

- ذات مـرة - حـــينمـــا ذهبت مع القــديس يوسف النجــار، للمشَاركة في الاحتفال بعيد الفصح في الهيكل (لو ٢: ٤١ - ٤٢) وكـان السيـد المسيح لا يزال طفـلاً في الثـانيـة عـشـر من عمره.

وبعد الزيارة المُقدسة، سارت المَسيرة يوماً كاملاً، في طريق العَودة، إلي الناصرة، وكانت الأم تطن - مع القديس يوسف - أن الصَبي يســوع كــان مع بَقــيــة المُرافــقين، من الأقــارب والأصـحاب! فلمـا سألا عنه، لم يجداه معهم، وقررا أن يتـخلفا من الركْب.

ورجـعـا بحُزن، وتَعب قلب - إلي أورشليم - لكي يُفـتشـا عليـه، وسط زحام العيد! وبعد ثلاثة أيام بلياليـها، من البَحث المُضني بين الجمـوع، عَثـرا عليـه جالسـاً في أحَد أورقـة الهـيكل - وسط المُعلمين - يســمــعَهم ويســألهَم! فـلمــا أبصــراه هناك اندهَشـا، وقـالت له أمـه « يا بنّي لماذا فعلت بنا هكذا؟! هوذا أبوك وأنا

كنا نطلبك معذبين»! (لو ٢: ٤١ - ٤٨) ولا يَخـفي علي أحـد، مـقـدار مُعـاناة الأم، عندمـا يتـيـه إبنهـا الوحـيـد، ولـكن الروح القدس **عزاها هذه المرة ايضاً**، حـينمـا وجـدته يُناقش رِجـال الدين، في مكان أمين، وليس في مَوضع للمُجون، كما يفعل الصبِيان اللاهون والمُتغافِلون!!

٧ - وعـندمـا بدأ المُخلِّص خِدمـتَه - فـي الثـلاثين مـن عُـمره - في رحلتـه نحـو الصليب، ترك الناصـرة إلي كـفـر نَاحـوم، ثم تَنقـل في عــدة مَدن وقُري ووديان وهضــاب وجَبــال (فلسطين، لبنان، شرق الأردن، وسوريا)! «إذ لم يكُن له أين يَسند رأسـه» (مت ٨: ٢٠)! ويبـدو أن الطوبايـة «أم النور» كـانت تتـبعـه في تِجواله، في أماكن خِدمَته، ولو من بُعد!

وكـانـت الجـمـوع تأخـذه منهـا فـي أحـيـان كـثـيـرة، ولـم تكن تلتـقي به ليـلاً، لأنه **كان يقضي الليل كله في الصلاة** في الجـبـال، وبالـنهـار كـان «يجُول يَصنع خـيــراً، ويشــفي المُتَسلط عليــهم

إبليس» (أع ١٠:٣٨) ويُعد تلاميذه - في اجتماعات إنفرادية، ليستعدوا للمهمة الصعبة التي سيؤكلها اليهم فيما بعد!

ويذكر الكتاب أن العذراء، قد ذهبت للقاء يسوع، ذات مرة وهو مُنشغل بالجموع، فأكد علي موقفه بالإهتمام «**بالرابطة الروحية» للشعب**، الذي جاء لكي يُخلصه من خطاياه، وهذا الموقف يُسجله الرسول متي البشير هكذا: «وفيما هو يُكلم الجموع، **اذا امه وإخوته** (أبناء خالته) قد وقفوا خارجاً، طالبين أن يكلموه! فقال له واحد: هوذا أمك وأخوتك واقفون خارجاً، طلبين أن يُكلموك، فأجاب «يسوع» وقال للقائل له: **من هي امي؟!** ومن هم إخوتي؟! ثم مدّ يده إلي تلاميذه وقال: **ها هي امي وإخوتي، لأن من يصنع مشيئة ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي**» (مت ١٢: ٤٦ - ٥٠).

٨ - وكانت أم النور تُعاني آلاماً قلبية شديدة، عندما

كانت تستمع إلي لسعات الألسنة الظالمة والحاسدة والحاقدة، التي كانت تنَعت رب المجد بأقذع الألفاظ، وأقسي العبارات، ويتهمونه بما ليس فيه، وينسبون معجزاته لعمل الشياطين (لو ١١: ١٥) وهو يحتملهم ويُحبهم باستمرار، ويدعوهم للتوبة، وتسليم الحياة لله، وأخيراً مات عنهم ليعد لهم النجاة!

٩ - ثم حل موعد التجربة الكبري، بعد تلك السلسة من التجارب السابقة، عندما قبَض اليهود علي الفَادي يسوع (بإرادته) وكانت أم النور تشهد عن قُرب ما جَري له، من مُحكامات ليلية ظالمة (غير قانونية)، وما ناله من جلَدات وضَربات ولكَمات! ثم رأت الأشرار، وهم يحكمون عليه بالصَلب، وهم يجلّدونه ويبصقون عليه، ورافقته بالدموع - مع المريمات - في طريق الالام، وهو يحمل الصليب الثقيل، الي تل الجُلجثة، وهو مَظلوم، لم يفتح فَاه، «كشاه تغسَاق إلي الذبح» (أش ٥٣: ٧)!

ثم كان قلب الأم يتقطع من شدة الألم، ويعتَصر من الحُزن، علي إبنهـا الوحيـد الحـبيب، والمَطارق تنهـال عليـه بشـدة، والمَسامير تخترق لحمه الغض، والأيدي الآثمة تغرِص الشوك في جبينه الطاهر، وتُقدّم له الخَل والمر، بدلاً من الماء، ويطعنه الجندي في جنبه طعنة غادرة، وهو يصرخ طالباً العَفو عنهم، ويُعلن أنه قد أكمل العَمل، الذي جاء من أجله، ويُسلّم أمه الطَيبة، إلي تلميذه يوحنا، (إذ لم يَكن لها أحد سواه)، وهكذا عاشت أم النور - في بيته - حتي صعدت روحها الطاهرة إلي المجَد!

وتُعبِّر صلوات الأجبية من ألم «أم النور» وعن فرحتها أيضاً، بقيام الرب بخلاص البشرية، من الخطية الجِدّية، فترتِل معها قائلين: «أما العَالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتَهب عند نظري إلي صلبوتك، الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا أبني والَهي»!

١٠ - وماتت العذراء الطاهرة، بعد قيامة المُخلّص - إذا اضطدها اليهود وزاد في أيذائها، لاسيما وأنها كانت تبشر بالمسيح، في شجاعة وإيمان. ويذكر تقليد قديم أن الأشرار أحرقوا المنزل الذي كانت تُقيم فيه - مع يُوحنا الحبيب - ولكن الله أنقذها وعزّاها، **كما كان يَحدث في كل تجربة، حتي وقت نياحتِها.**

ولم تُسلم من الأذي، حتي بعد أنتقالها الي السماء، فقد أثار اليهود أحد الأشرار، ودَفع بيده الأثيمة، تابوت جثمانها الطاهر وكان التلاميذ يحملونه لدَفنه في الجُسثمانية، فانفصلت ذراع الشرير عن جسده، وصرخ من الألم، وأعلن عن خطئه، وطلَب من الرسل أن يُصلوا من أجله، فتشفعوا بأم النور، وتّمت المُعجزة والتصقت ذراعاه في جسمه من جديد، فامن بالرب يسوع مع عدد كبير من الذين رأوا المعجزة الباهرة، ومن الجدير بالذكر، أن التقليد القديم يذكر أن هذا الشخص هو نفسه، الذي شفاه السيد بعد مرضه ثمانية وثلاثين

عامـاً، وحذّره من الخَطأ «لئلا يكون له أشَر» (يو ٥:١٤) ومع ذلك أخطأ هذا الخطأ المُميت!

كما لم تَسْلمَ العذراء القديسة من ألسنة اليهود الأشرار، فأشاعوا الأقاويل منها (في تلمودِهم) كما نَسب اليها بعض المسحيين أنها تزوجت، وأنجبت إخوة للمسيح!! مع أنه واضح إنهم كانوا أبناء أختها كما ورد في رلجيل البشير يوحنا (يو ١٩:١٥).

ثانياً: العذراء الشاكرة

عاشت أم النور، في حياة شُكر وتسبيح دائم لله، سواء في طفولتها في الهيكل، أو في بيت يُوسف النجار، أو في ضِيافة أليصابات (لو ١:٤٠) أو في وقت التجارب والضِيقات!

وقد نطقت بأعظم تسبيحة روحية، لشُكر الله، لسَماحه لها بأن تكون العذراء الوحيدة، الموعودة بمجيء المسيح المُخلّص منها (أش ٧:١٤).

وركــــزَت - في شُكرها للـه - علي **النعم الروحية** الكثـيرة (التي يَنسي البعض الشكر عليهـا)، فقالت: «**تُعظّم نفسِي الرّب**، وتبتهج روحي بالله مُخلّصي، لأنه نظر إلي أتضاع أمته (اختار عَبـدته، رغم بسَاطة حـالِهـا)، **لأن القدير صنع بي عظائم** وأسمه قـدوس، ورَحمـتـه الي جيل الأجيـال للذين يتـقـونه. صنع قـوة بذراعِه (سنَد الضُعفاء)،أنزل الأعزاء (المُتكبرين) عن الكراسي (المَناصب)، **ورفع المتضعين** أشبع الجِياع خيرات، وصَرف الأغنياء فارغين (لو ١: ٤٦ - ٥٣).

فـمـا أحلي شكر الرب من كل القلب علي كل حـال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال.

ثالثاً: العذراء المتضعة

تطلع الآب من السمـاء ونظر الي قلبها المتضع (لو ١:٤٨) فأختـارها من بين بنات العَالم لتكون أماً لمُخلّص البَشر، إذ لم يجد مَن في وداعـتـها، ونَقاوة سِيرَتها، لتكون مُستودعاً لحلول

الروح القدس «الكلمة المُتجَسد»! **وهكذا وجدت نِعمة عند الله** (لو ١:٢٨).

وبالإجمال، فإن القلب المُنكسر، والمتواضع لا يرذله الله (مز ٥٠)، علي نقيض النَفس المُتكبِرة، لا تقبلها السماء ولا يرتاح معها أي أنسان علي الأرض!.

ولم نجد العذراء تفتخر، بهذا الحَمل الآلهي، الفريد من نوعه، بل نراها - في اتضاع حقيقي، تذهب الي نسيبتها أليصابات، فور معرفة النبأ السعيد، من الملاك غبريال البِشارة (لو ١:٣٦) وصارت تخدَمها - في إنكار الذات - نحو ثلاثة أشهر، حتي ولدت إبنها «يوحنا» (المعمدان) وفي تواضع تام لم تُتفخر أمامها - بما أسيفه الله عليها من كرامة عظيمة، بمجيء الفادي منها، حتي أن أليصابات نفسَها تعجَّبت من مجيئها إليها لخدمَتها، بعد هذا الإعلان الإلهيَ، الفائق الوصف!

ويُسجَل القديس لوقا - هذا المضوقف هكذا : «وأمتلزت أليصابات من الروح القدس، **وصرخت بصوت عظيم**، وقالت: مُباركة أنت في النساد، ومُباركة هي ثمرة بطنك، **فمن اين لي هذا ان تأتي ام ربي إليّ**»؟ (لو ٤١-٤٢). فما أجمل الاتضاع، وما أعظم القلب المتواضع!

رابعاً: العذراء المؤمنة

كان إيمانها عظيماً، في كل الأوقات والظروف والمحَن! فقد صدّضقت الملاك، وهو يُعلنها بالخَبر العجيب، رغم صعوبة الزمر، وعدم وجود سابقة له، ولم يكن سؤالها للملاك عن كيفية الحمّل، بدون رجل، نوعاً من الشك في قدرة الله تعالي، بل كان طلبا مضنطقياً للاستفسار عن الكيفية التي يتم بها الحَمل، المُخالف لقوانين الطبيعة، كما أنه لم يحدُث - ولن يحدث - مثل تلك الحَالة إطلاقاً من عهد آدم والي آخر الدهور!، ولهذا أمتدحت أليصابات إيمان العذراء مريم،

ما قيل لها من قبل الرب» (لو ١:٤٥)٠

وكان هذا الأيمان مبعث سلام، ومصدر فرح لها، لاسيما في الأوقات العصيبة، التي مرت بها أم النور، وما أحرانا أن نؤمن بقدرة الله، فنجد السلام والفرح، ونسعد بمعونة الرب، وترتيبه العجيب لنا ٠

وقد ظهر إيمان أم النور بقُدرة إبنها يسوع، على عمل المُعجزات فطلبت منه في «عرس قانان الجليل» (يو ٢:٣) أن يُنقذ الموقف الحَرج للعريس، بعدما نفذ الشراب الذي يُقدَّم للمدعوين! ومن أجل محبتها وإيمانها، وشفاعتها المُقبولة لديه، تمت المعجزة الباهرة، قبل الساعة المحددة فعلاً، لقيام السيد له المجد ـ بأعماله الخالدة على الأرض (يو ٢: ١ ـ ١١)٠

خامسا: العذراء الحنونة:

لقد أحبت الرب من كل القلب، فانعكست تلك المحبة،

بطريقة عَملية من العَطف علي الفقراء والمساكين، حينما كانت تُوزّع طعامها، الذي كانت تحَضل عليه من الهيكل، علي المساكين والمحتاجين (كما يقول تقليد قديم)! وقد تجلت مَحبتها العملية - أيضاً - في مشاركتها لأليصابات (العجوز) في خدمة منزلها، طوال فترة حَملها! وكذلك شاركت أهل عُرس قانا الجليل، في أفراحهم، وطلبت من يسوع أن يعمل المستحيل، ليدخل البهجة عليهم.

ويذكر تاريخ الكنيسة، أن العذراء قد هَّبت لنجدة القديس «متياس» الرسول، حينما تشفع بها، فحملتها سحابة نورانية، من زرض فلسطين - ألي آسيا الصُغري - حيث صلت أمام أبواب السِجن، وذابت الأبواب الحديدية (عيد العذراء حَالة الحَديد)، وزنقذت رجُل الله من سجنه، وشَفت ابن الملك! وفي أيامنا هذه رأينا وسمعنا عن ظهور أم النور، في الزيتون وشبرا، وفي المطرانية القبطية بالقُدس، وفي أوربا، وفي بيوت

المومنين، وهي تشفي الطالبين، من كل جنس ودين، شفاعتها تكون معنا آمين.

سادساً: العذراء وحياة التسليم الكامل لمشيئة الله:

من ثِمار الإيمان، التسليم الكامل لله، والثقة في وعوده الصادقة، بأن كل الأشياء تَعمل معاً للخير، للذين يُحبون الله» (رو ٨:٢٨). وهكذا زسلمت العذراء نفسها، بين يدّي الرب، فصارت مطمئنة إلي تدبيره الصالح، وإلي حُسن قيادته ورعايته، فلم يعوزها شيء من العَالم، كما قال المُرنم (مز ٢٣ : ١٠). وما أجمل تلك النفس التي تُرنم للرب مع أم النور: «هوذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك» (لو ١:٣٨).

وقد قُلنا أن العذراء استسلمت للمَشيئة الإلهية الصالحة، في كل أوامره الصادرة إليها، بأن تدخل الهيكل، وأن تُخطب ليوسف الكَهل، وأن تذهب إلي بيت لحم، وأن تهرَب بالرضيع إلي مصر، كما نفذَت أمر الله بضرورة العَودة إلي فلسطين،

وأن تستسلم لأمر الله المحتوم، بتقديم أبنها ذبيحة عن الخُطَاة، وأن تَقبل - أيضاً - أن تقضي بقية حياتها في بيت رجل غريب، وهو يوحنا الحبيب، بناء علي رغبة المُخلّص، وهو مُعلق علي عود الصليب!

سابعاً: العذراء المُطيعة

كانت أم النور، مثالاً للفتاة الوديعة، المُطيعة، القنُوعة، فقد زطاعت والديها بدخول الهيكل، في سِن مبكرة. وأطعات الكهنة والمُعلمين - عدة سنين - حتي قضوا بزن تُخطب لشيخ كبير السن! وعاشت معه تُخدَمه في طاعة كاملة، دون تذمر أو ضَجر، كما أطاعت رَجُلها للإسراع بالذهاب إلي بيت لحم، بناء علي أوامر الدولة الرومانية لإجراء الإحصاء العام للشَعب، وكانت الرحلة مستحيلة من الناحية العَملية، حيث أنها في الزيام الزخيرة للوَع، مع حساب وُعورة الطريق، وصعوبة السَفر علي الدواب، مع قسوة الطبيعة! كما أطاعت

الدعوة الرلهية بسرعة الهَرب إلي مصر، ثم الرجوع مرة أخري الي وطنها! ولم نسمع سوي أنها كانت دائماً تعيش في خضوع تام، بلا مُعارضة ولا رفض لصوت الرب.

ولا شك أن أبن الطاعة، لابُد أن يَحصل علي البّركة والنِعمة والسَلام القلبي، بينما الشخص العنيد، والعاصي والمُتمرد، وغير المُطيع للرب يُتعب نفسه وغيره معه، فَيحزن ويفقِد الفَرح، ويندم في النهاية، ويلاحقه صوت الرب الحنون قائلاً: «**ليتك اصغيت لوصاياي، فكان كنهر سلاَمك**» (أش ٤٨: ١٤).

ثامناً: العذراء وفضيلة الصَمت

كانت أم النور مثالاً للإنسانة الروحية (المتعَففة في حياة الشَركة مع الله، التي تدربت علي حياة الصَمت، والسْكون، والهدوء، والتأمل الدائم في كلمة الله، والحديث معه. وحينما يسكت اللسان مع الناس يتكلم القلب مع الرب.

وهكذا نقرأ في بشارة القديس لوقا، شهادة الروح القدس،

عن الطوباوية أم النور:«وكل الذين سمعوا (عن ميلاد مُخلّصنا يسوع) تعجبوا مما قيل لهم من الرعاة، **واما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام، متفكرة** (متأملة) به في قلبها» (لو ٢: ١٨ - ١٩). فما أشد حاجتنا إلي التدرب علي الصمت، والسكون، لأن كثرة الكلام، لا تخلو من معصية» (أم ١٠:١٩) و «أن الإنسان يتبرر بكلامه، كما يُدان أيضاً علي كلامه» (وأن كل كلمة بطالة سوف يُعطيَ عنها الناس حساباً يوم الدينش (مت ٣٦:١٢). وما أجمل قول القديس أنبا بيمن «الكلام من أجل الله جيد، والسكوت من أجل الله جيد».

تاسعاً: العذراء المتعبدة

تعلمت العذراء مريم أن تعيش حياة الصلاة الدائمة، منذ طفولتها الأولي بالهيكل مرددة المزامير والتسابيح لله، وتلك هي المحبة الحقيقية للرب،: «تُحب الرب إلهك، من كل قلبك، **ومن كل فكرك**، ومن كل قُدرتك» (مر ٢٩:١٢) فيُعطي المؤمن

للرب أحلي الزوقات، وتكون له تعالي **الأولوية**، علي كل ما عَدَاه من الأعمال اليومية، ولا يتعذر المرء عن الصلاة، بأنشغاله باهتمامات العالم، وعليه أن يُدرب أطفاله علي حياة العبادة، منذ نعومة أظافرهم، حتي يشبّوا عليها، وتكون لهم عادة الصلاة، قبل القيام بأي عمل (من شبٌ علي شيء شابَ عليه، والتعليم في الصِغر كالنقَش علي الحَجر).

ولما أنتقلت أم النور إلي بيت يوسف، حولّته إلي **كنيسة صغيرة**، يرتفع منها بخور الصلوات العطرة، وتسابيح الحَمد والشكر لله، فأحبُها الرب، وسكن في قلبها المتواضع، فأستحقت بشارة السماء، وتشرفت بمجيء رئيس الملائكة «غبريال» إليها، في بيتها الريفي البسيط، وحلّ عليها الروح القدس، في هذا الموضع المقدس، ومن ثم فقد أنطبق علي العائلة المقدسة القول الإلهي «إذ اجتمع إثنان أو ثلاثة **بإسمي**، فهناك أكون في وسَطهم» (مت ١٨: ٢٠).

وقد أنتظرت العذراء «موعد الآب» من السماء (أع ١:٤ - ١٤) مع بقية المومنين، وظلوا في اجتماع روحي مستمر، في عٌلية صَهيون ودوام الجميع علي الصلوات والعبادة ليل ونهار، حتي يوم «حلول الروح القدس عليهم (أع ٢:١) فأمتلأت العذراء بالروح القدس ونالت نعمة فوق نعمة، وقضت بقية حياتها في عبادة - مع عذاري جبل الزيتون - حتي جاءت ساعة نياحتها السعيدة، وكانت تُسبح الله في تلك الساعة، فأتي اليها المخّص وعزّضاها، وأعلمّها بانتقالها من هذا العالم الفاني! فباركت العذاري حولها، ورقت في الرب.

عاشراً: العذراء الخادمة

يذكر التقليد المقدس، أن أم النور قد أسهمت بقِسط وافر، في مجال الخدمة الدينية، وكَسب النفوس، إلي محبة الرب يسوع، وطاعة إنجيل الخلاص وقامت العذراء مريم بعقد الرجتماعات الروحية، لنشر الإيمان المسيحي بين جيرانها

ومعارفها، وأستطاعت - في فترة وجيزة - أن تُدرب مجموعة ممتازة من الخادمات والعذراى المُتبتلات، علي خدمة الرب، طوال الوقت، وظلّضت مُواظبة معهن علي الخِدمة، والصلوات، حتي جاء الرب يسوع - مع ملائكته القديسين - وحملوا روحها الطاهرة إلي فردوس النعيم، وسط فرح وتهليل السمائيين والأرضيين، وهي لا تزال دائمة الطلّب عنا، والتَشفع من أجل كل النفوس التي تطلب شفاعتها، وترجو تدخلها عند أبنها الحبيب، وهو نِعمَ المُجيب، لاسيما في وقت الضيق والتعب (مز ٨١:٧).

وهناك المئات من المعجزات التي وافق الرب عليها، وأجراها لأولاده المباركين، المؤمنين بشفاعة أم النور، والتي ذخرت بها كتب التاريخ الكنسي القديم والحديث، في مصر والخارج والتي لا تزال تحدث الي اليوم.

وقد كان من المناسب - في هذا المجال - قبل ختام هذا

المقال، أن يلخص كاتب هذه السطور، واحدة من تلك المعجزات التي حدثت له شخصياً والتي سبق له نشرها في كتابه «الله موجود».

فقد عاني الكاتب من مرضٍ مُزمن (في الكُلى اليمني) وكان أحياناً يلجأ للمستشفي للعلاج من الألم الشديد جداً الذي يصاحب هذا المرض الصعب (المغص الكلوي الحاد).

وذات مرة - منذ نحو عشر سنوات - كان الوقت « في صوم العذراء » (أغسطس). وكان وحيداً بسبب سفر شريكة حياته الي بلدته. وفاجأه الألم الشديد وهو يُشارك في نهضة العذراء بكنيسة المطرانية بالجيزة وصرخ من الألم وتشفع بالعذراء الطوباوية وبالشهيد العظيم مارجرجس - صاحب الكاتدرائية - ولجأ الي جناب القمص الراحل صليب سوريال، مُعلم الأجيال، طيَّب الله ثراه، وصلّي للكاتب، ثم مضي الي بيته، في حالة أخفّ والحمد لله.

وفي منتصف تلك الليلة بعينها، جادت أم النور اليه - في

حُلم - وهو نائم في فـــراشـــه، ورأي الكاتب وهو نائم - أم النور، في صورة جميلة جداً، من البهاء والمجد، وقد امتلأت الحجرة من جموع غفيرة (من الملائكة) حولها، وقامت بتمزيق ملابس النوم (البيجامة) وعمل «عملية ماش!!»، ثم وضعت شـيئاً مـا أبيض (كالقطن)، فوق موضع الكلي اليمني، وأنصرفت بسلام مع رجال الله!!

وفي صبيحة اليوم التالي، تأكد الكاتب من صحة المعجزة، من تمزق رداء النوم، ومن ذهاب الألم الي غير رجعة، وإلي الآن.

شكراً لله علي الدوام. وشكراً لاستجابته لشفاعة البتول المقبولة لديه وطوبي لمن آمن بعمله وبشفاعة قدّيسيه.

ليت الرب يعطينا نعمة، حتي نعيش معه في توبة وعبادة عميقة وحُب حقيقي ونطلب منه تعالي أن يُعطينا من الفضائل، مثلما أعطي أم النور لنعيش في فرح وسرور.

شفاعتها تكون معنا، ولالهنا الشكر والحمد من الآن وإلي الأبد آمين

الفهرست صفحة



هذا الكتاب

قصة العذراء حالة الحديد
من التراث القبطي القديم
وما بها من احداث
مع دراسة لسيرة
متياس الرسول وخدمته.
كما تشمل دراسة
تأملية لعبارة
« لا تخافي يا مريم »
والفرق بين الخوف والمخافة
كما نتأمل معا
في فضائل الطوباوية
أم النور، لتكون
مثالاً لكل نفس
تسير مع المسيح
بأمانه وحب ووفاء
وحمل صليب الرب
بفرح وصبر وشكر.

الموسوعة القبطية الشاملة

٢

١- قصة العذراء حالة الحديد
٢- أم النور والمريمات الآخريات
٣- عذارى حكيمات
٤- المطوبون من الله
٥- طوبى للرحمـ
٦- أخنوخ - ملكى صادق
أيوب - بلعام
٧- لماذا ظُلم فادى الخـ
ولم يفتح فاه
٨- ٣٥ سؤال وجو
(عن احداث عيدى الميلاد والغطـ
٩- الشفـ
١٠- المفهوم الارثوذكسـ
للتجديد
١١- إنجيل برنابا مـ
منظور مسيحى
١٢- كل الأشياء تعمـ
معاً للخير

Bibliotheca Alexandrina
1100786

مكتبة المحبة ٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس : ٧٧٧٤٤٨